الفصل الرابع

نظام الزواج في المجتمعات السودانية

المبحث الأول: نظام الزواج في السودان:

تمهيد:

نظام الزواج في المجتمع السوداني هي عدة مناسبات وطقوس جرت العادة على إقامتها كلما حلت مناسبة الزواج السعيدة على إحدى الأسر السودان. والعادات والتقاليد التي يمارسها ويتناقلها السودانيون هي في الغالب الأعم تختلف طقوسها باختلاف المناطق والقبائل.

الزواج في السودان:

عرفنا من التاريخ القديم والحديث أن المجتمع السوداني مجتمع ذو إرث حضاري ضارب الجذور تمثله مجموعات عرفت بتعدد الثقافات، والتنوع الإثني، والقبلي. ومنذ ملايين السنين اتسم المجتمع بذلك الطابع الثقافي الذي اكتسبه من نبع إفريقي وعربي. وقد أدى ذلك إلى التمازج بين الجماعات العرقية والتلاقح الثقافية بدرجات متفاوتة في مناطق السودان المختلفة. وبسبب ذلك اكتسب السودان خصائصه الثقافية المميزة، وهي خصائص تعتمد على الموروث الثقافي من قيم التقاليد والأعراف للثقافات المتنوعة (حاج حمد: د.ت: 17).

يقول د. جعفر ميرغني في صحيفة الخرطوم العدد: 7742 (2000) إن الموروث الثقافي السوداني، أهمله بقية المؤرخين وخاصة فيما يتعلق بالعادات والتقاليد، وإن المصادر المدونة من قبل ميلاد المسيح عليه السلام، تفيد بوجود قبائل عربية غير عدنانية في السودان، وأن هذه القبائل سكنت شرق النيل عند أسوان إلى مروي البجرواية.

ويرى مختار عجوبة (2001: 2) عند دخول العرب السودان أنهم خالطوا القبائل النوبية والبجا، والبعض هجروا لغتهم العربية كلياً أو جزئياً، واستخدموا البجاوية، والنوبية مثل؛ قبائل جهينة وأولاد كاهل وبني ربيعة. ومع تعدد اللغة تعلموا العادات، وسائر مقتضيات الثقافة السودانية سواء في أواسط السودان، أو في غربه أو في شرقه، وهذا لا ينفي أن القبائل العربية قد احتفظت بعاداتها، وتقاليدها، ولغتها، مع ما تعرضت له من تماذج ثقافي؛ عبرت عنه السلطنة الزرقاء تعبيراً صادقاً، وبذات شخصية مميزة، وطابع سوداني أصيل مختلف عن البلاد العربية الأخرى، وذلك نتيجة لتخلي عرب السودان عن عاداتهم، أو تمسكهم بعادات عربية قديمة. ونجد أن كثيراً

من العادات والتقاليد السودانية التي يعتقد أنها أصلية ربما كانت عربية أيضا سواء بالصدفة أو التقاليد السودانية أو التمازج والتطوير؛ فالرحط معروف في تاريخ القبائل في الجزيرة العربية – كما أن الهجرات القديمة ربما هاجرت بعادات وتقاليد عربية جاهلية، لاتزال مائلة إلى يومنا هذا – وهي عادات لم يتخل عنها العرب الرشايدة الذين يمثلون أحدث هجرة عربية إلى السودان.

الزواج في السودان كغيره من المجتمعات يعتبر مكونا أساسيا في البناء الاجتماعي ويؤدي ضرورة وظيفية لاستمرار المجتمع، وعرف بأنه مؤسسة اجتماعية تقوم أساسا بالتقاء شخصين هما الذكر والأنثى؛ وينتج عنه امتزاج بين أسرتين، وقد ينتميان إلى أصول قبلية واحدة أو قد يختلفان، وقد ينتميان إلى طبقة اجتماعية واحدة أو تصنيف اجتماعي واحد؛ مثلا قد ينتميان إلى مجتمع ريفي او مجتمع حضري واحد أو قد يختلفان أيضا، وقد يتساويان في درجة التعليم أو مستوى الثقافة ، وليس هناك استحالة في انتمائها إلى ديانتين مختلفتين ولكن حسب القواعد وشرائع لكل دين كما قد يوجد تقارب في العمر أو قد لايوجد (صبير: 2002: 138).

وللزواج في السودان وظائف اجتماعية تفرضها عمليات إنجاز المؤسسة الزواجية وتشكل مراسيم الزواج صوراً اجتماعية مهمة وذلك بتركيبة الأهل والأقارب والمعارف والأصدقاء الذين يجتمعون لأداء عدة وظائف أساسية خلال مختلف مراسيم الزواج فيساهمون في التجهز للزواج (إعداد الأكل والشرب وصناعة ما يلزم العروسين من تجهيزات) ولهم أدوار فعلية في الترفيه من رقص وغناء وإعطاء المناسبة وجها من الفرحة والتفاؤل (العقيلي:1991: 22).

ويعتبر الزواج في السودان من الممارسات الاجتماعية التي تشكل المحور الأساسي من محاور دورة الحياة، فهو عبارة عن مؤسسة اجتماعية لها قوانينها ونظمها المتمثلة في ممارسة الطقوس والمراسيم وما تبعها من مواد وأدوات مستعملة، وكل ما يتعلق بتلك المؤسسة من مقدسات ومحرمات؛ فهو يعكس جانبا من عادات وتقاليد المجتمع السوداني التي نبعت من عقيدته وتاريخه الطويل، أما الأدوات المستعملة في مراسيم الزواج فتشكل عناصر الثقافة المادية السودانية، وتختلف العادات والتقاليد باختلاف المجتمعات المحلية والطبقات والعناصر في المجتمع المحلي الواحد، ولكن هنالك عادات وتقاليد تكون عامة في كل المجتمع السوداني، ولكن تختلف اختلافات طفيفة، وتمثل عادات الزواج في السودان من فترة الاختيار والخطوبة حتى بعد يوم الزواج (الخزين: 1998: 25). ترى د. سوزان: أن الزواج في السودان يمر بطقوس محددة

تجرى للذكور والإناث لكي يعبروا من مرحلة إلى مرحلة جديدة فيمرون بسلسة طويلة من الطقوس نراها في أغلب عادات الزواج في المجتمعات السودانية (يوسف: 2002: 40).

وتبدأ بعض عادات الزواج بالاختيار والخطوبة والشبكة والشيلة والمهر وحنة العروسين والجرتق والتجهيز ليوم العرس والوليمة والدخلة مع بعض العادات الأخرى. وكان النمط التقليدي في السودان هو زواج الأقارب ويتميز بالاختيار الجماعي في إطار شبكة الأقارب، والاختيار محدد من مرحلة الطفولة. والزواج في السودان بالمعايير التقليدية يؤدى وظائف اقتصادية وثقافية ويدعم السلطة الأبوية ويكثف روابط القرابة ويحد الفوارق الاقتصادية داخل القبيلة، وهو بمثابة ضمان اجتماعي واقتصادي للزوجين وأبنائهما (صالح: د.ت: 5).

أشكال الزواج في السودان:

السودان عرف أنواعاً من الزواج المتعارف عليه إسلامياً أو أنواعاً أخرى غير متعارف عليها، وعموماً الزواج في السودان يتم بين المسلمين وفقا لضوابط الشريعة الإسلامية (الآن)، بينما تتعدد صيغه، وأشكاله بين غير المسلمين وفقا لمختلف دياناتهم، وأعرافهم، وأعراقهم. ونجد عند مختلف القبائل أنواعاً من الزيجات المختلفة قبل الربع الأول من القرن العشرين كما أوردها مختار عجوبة في كتابه عن المرأة السودانية وقد كانت بعض هذه الزيجات معروفة في الجاهلية ونورد البعض منها، وهي: (عجوبة: 2001: 5).

نكاح الرهط: قبل الربع الأول من القرن العشرين عرف السودان انواعا من الزيجات يمكن ان نطلق عليها نكاح الرهط للإماء؛ فتلد الآمة طفلا لا تدري لمن تنسبه وقد تسمي هي أباه، وقد يقبله أو لايقبله. وكما كان الأمر في الجاهلية، كان الأمر في السودان. حيث كانت للبغايا رايات على بيوتهن. ومثل هؤلاء حتما كن ينجبن أطفالا، وقد تنسب أمهاتهم إلى أبائهم الطبيعين، أو إلى غيرهم، أو بغير علمهم (عجوبة: 2001: 6).

زواج البغاء: وقد كان تعاطي البغاء سواء كان في الجزيرة العربية قبل الإسلام أو في السودان مقصورا – في الغالب – على الإماء المجلوبات من مناطق أخرى أو المولدات، وكانت تقام لهن في المدن والأسواق بيوتات (عجوبة: 2001: 6).

زواج الإماء: وقد عرف السودان – أيضا – زواج الإماء، وذلك بأن يشتري الرجل أمة، أو قد يخطفها، فيكون لها أولاد، إن شاء أعتقها وأعتقهم، وإن شاء لم يفعل، فتظل عنده أمة، ويظل أولادها منه عبيدا له وإماء (عجوبة: 2001: 6).

كما عرف السودان البغاء من أجل الكسب، فإنه ربما عرف أيضا أنواعا من البغاء الديني بشكل أو بآخر – فهو زواج عرفته الحضارة الفرعونية وعبدة آمون. وربما عرفته بعض الذين يدعون الدين من المشعوذين طمعا في بركتهم.

زواج الخطف: أما زواج الخطف فقد كان معروفا في الجاهلية كما عرف في السودان، وإلى ماقبل الحرب العالمية الثانية، وقد يكون إرثا من عرب الجاهلية أو إرثا إفريقيا على حد سواء. فقد يقوم شخص يعتمد على قوته، فيخطف إمرأة ويتزوجها، سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة. وهناك دراسات عن بعض القبائل البدوية في شبه الجزيرة العربية تدل على أن خطف جميلات النساء حتى ولو كن متزوجات، وكان شائعا إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وربما أوائل القرن العشرين (عجوبة: 2001:).

زواج السبئ: أما زواج السبئ وهو حق للمحاربين المنتصرين في نساء المحاربين المغلوبين، ولايشترط فيه رضاء الفتاة ولا أهلها، وليس فيه مهر ولا عدة، فقد عرفه عرب الجاهلية، كما عرفه أهل السودان، وخاصة في أيام الثورة المهدية التي أعطته تبريرا دينيا ينطلق من تكفير كل من عارض أو حاربها قولا أو فعلا (عجوبة: 2001: 7).

الزواج الأخوي: نجد أيضا في المجتمعات السودانية بعض أنظمة الزواج نذكر منها (الزواج الأخوي)، وهو نظام الزواج بأرملة الأخ وهو نظام أشتهرت به خاصة منطقة – ولاية الجزيرة – وسط السودان، وشمال السودان – وغيرهما من الولايات الأخرى، وهو نظام يقتضي أن يتزوج الأخ الأكبر – أو الأخ الأصغر بحسب اختلاف النظم والعادات والتقاليد – من أرملة أخيه المتوفي، ومازلت تطبقه بعض الأسر الممتدة والمتماسكة بنائيا ووظيفيا. وأيضا هنالك عرفا عن بعض الأسر أن يتزوج بأخت الزوجة المتوفية، لتقوم بتربية أبناء أختها والمحافظة على البناء الأسري والوظيفي والتنشئة الاجتماعية المتفق عليها بين الأسر، وهنالك أيضا بعض الدوافع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لإقامة نظام هذا الزواج (البصير: 2010: 59).

عرس الكورة: زواج الكورة ظاهرة قديمة. وهو رمز للزواج الميسر (المبسط) باقل التكاليف، ويهدف إلى تكوين أسرة سعيدة، وهو نظام اجتماعي عرفه المجتمع السوداني. وغالباً ما يحدث

إما لعوامل اجتماعية أو اقتصادية. وعرس الكورة صيغة يتم من خلالها تزويج الشباب، وذلك بهدف محاربة تأخر سن الزواج لدى الشباب بتكوين أسر جديدة بتكاليف مالية قليلة يتفق عليها أفراد المجتمع، وزواج الكورة كان يحارب العادات الضارة والمغالاة في المهور. وقد سمى بعرس الكورة لبساطته "يعنى مثل العروس الجايبنها ليك في كورة". و"الكورة" تعني الماعون مثل الصحون وغيرها. وجاء في دراسة العوض (1970) ترجع كلمة كورة إلى عبارة (مكاورة) وهو مصطلح يتعلق بعملية البيع والشراء في الأساق السودانية، إذ أن الإنسان إذا أشترى بضاعة بالجملة بسعر رخيص تسمى مكاورة.

وهو كفكرة بدأ منذ أيام المهدية حيث أشترك الكثير من الشباب مع قوات المهدية وكانت النتيجة بقاء الكثير من البنات في سن متقدمة بدوان زواج وبذلك أصبح الأمر مشكلة اجتماعية تصدى لها بعض الشيوخ (العوض: 2003). ومن ضمن التسهيلات كانت الوليمة بشاة واحدة أو بلح لاغير، وكانت توجد عقوبة أدبية لمن تعدى على حدود الزواج. ووردت أغاني كثيرة جداً من ضمن أغاني البنات في تلك الفترة (ودالمهدي ينصلح الضوقنا بوخة الطلح). وكانت الفتاة في تلك الفترة سعيدة جداً بعرس الكورة، والبعض الآخر وهم أقلية رافضة لهذا الزواج البسيط، وبعض البنات من الطبقات العاالية طلعوا أغنية (عرس الكورة عرس اليابة لامضغوط ولادبابة)" المضغوط نوع من الثياب والدبابة شبشب عال". وقد أشتهرت أغاني البنات في المجتمع السوداني يغنين على نغمات الدلوكة في بيوت الأفراح عن زواج الكورة كأحد الحلول لحل مشكلة العنوسة (البصير: 2010: 60).

البورة يا ناس بالكورة يا ناس

البورة فكوها بالكورة

وسجل التاريخ لاحقا أن الخليفة الهادي وجه الدعوة إلى أخوانه وأنباء عمومته من سكان الجزيرة أبا، وناقش معهم كثرة البنات واحجام الشباب عن الزواج، وتوصولوا إلى أن الأسبب هو غلاء المهور، ومن ثم اتخذت القرارات بعرس الكورة (العوض: 2003).

الباحث أن ظاهرة زواج الكورة قد أختفت الآن في مجتمع البحث، وذلك منذ وقت مبكر ترجع إلي ماقبل الإستقلال. بسبب التغير الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، التي أدت إلى ظهور درجة

عالية من التحضر الذي دائما يقضي على بعض الممارسات القديمة من عادات اجتماعية وثقافية.

الزواج الجماعي: الزواج الجماعي ظاهرة جديدة وشكل من أشكال الزواج انتشر في السودان في الآونة الأخيرة، ويهدف إلى تيسيير الزواج للشباب الذي يواجه بعض العقبات التي تقف عائقاً أمام زواجه، مثل غلاء المهور وتكاليف حفلة العرس ليلة الزواج وغلاء صالات الأفراح وما يترتب على ذلك من ولائم وحفلات، ومن أهدافه أيضاً محاربة العنوسة والعزوف عن الزواج. وقد جرى هذا الزواج لأول مرة بمدينة ودمدني في عام 1986م "زواج الزهراء الأول" وقد وجدت هذه الظاهرة ترحيباً وإشادة من أفراد المجتمع باعتبارها عملا من أعمال الخير، ولكنها لم تسلم من النقد ولم تجد تشجيعاً من بعض الشباب. وهو في وجهة نظر البعض يعتبر حلاً جزئياً لمشكلة الزواج وليس حلاً جذرياً للمشاكل التي تحدث بعد الزواج من ناحية اقتصادية حيث ينتهي الزواج عند العقد ولكن ليس هنالك دراسة عن أحوال الشباب ومستقبلهم وعملهم ومصادر دخلهم وسكنهم (البصير: 2010: 59).

ويرى د. محمد عبدالمنعم عبدالله (2015): الزواج الجماعي أيضاً يختلف فيه أفراد المجتمع من ناحية القبول الاجتماعي أحياناً لأسباب اجتماعية، وأن الزواج في نظر البعض في حد ذاته ليلة العمر ومظهر للتباهي والتفاخر بين الأسر وإقامة الحفلات والجرتق والسيرة التقليدية فمتى ما شاركهم أحد ينكد ذلك عليهم البهجة.

الزواج في شمال السودان:

الزواج عند الحلفاويين: البناء الاجتماعي الكلي لأي مجتمع عبارة عن نسق من الأبنية المنفصلة المتمايزة التي تقوم فيما بينها، ورغم تمايزها وانفصالها فإنها علاقات متبادلة مثل البناء القرابي والبناء السياسي، والبناء الاقتصادي، ويضم هذه الأبنية الجزئية عدد من النظم الاجتماعية التي تؤلف فيما بينها وحدة متماسكة متكاملة (أبوزيد: 1967: 28).

الحلفاويون كانوا يفضلون الزواج المبكر (شقير: 1972: 238). وأنهم يزفون العريس راكباً فرساً ويسير الفرسان أمامه والنساء وراءه وهن يزغردن ويغنين حتى يصل الموكب إلى منزل العروس، فيولم أهلها ويتم العقد، ثم يأتون بالعريس إلى غرفة العروس، فيجد الباب مقفولاً. وأمامه رجل ممسكا بقفله، فلايدعه يدخل حتى ينقده شيئا من المال، وعند فتح الباب يدخل العريس ورفاقة

فترشهم امرأة من أهل العروس بالماء، ويصلى العريس ركعتين، ثم يتقدم إلى العروس فيلمس جبهتها بيده ويقبل يدها، ويجلس بجانبها نحو ربع ساعة، ثم يخرج وتؤخذ العروس إلى غرفة أخرى (شلبي: 2003: 5).

دراسة شلبي (2003: 181): تحدثت عن مراسم وطقوس الزواج في حلفا القديمة والجديدة. بعد التهجير، يتضح أن هنالك أسباباً لاستمرار أو اندثار بعض العادات والطقوس. وترى أن مراسم الزواج في منطقة وادى حلفا هي الطريقة التقليدية القديمة وكان يمارس الزواج منذ القدم على وتيرة واحدة، مع بعض الاختلافات البسيطة في بعض مناطقها. فالخطبة عادة تتم باختيار العروس من قبل الأهل عن طريق الحجز منذ الصغر، وكانت الأسرة هي المسؤولة المسؤولية الكاملة عن اختيار العروس، وليس من الضرورى أخذ رأى الشاب أو الشابة، وغير متاح للعريس أن يرى عروسه إلا يوم الدخلة، والتي تتم في اليوم الثاني من العقد.

ويذكر كنيدى (Kennedy:1987) في كتابه "طقوس الحياة في بلاد النوبة" عن ملائكة النيل والمشاهير والشعائر التي تمارس في دورة الحياة في النوبة، ويذكر التغييرات في احتفالات الزواج عند النوبة، فإن الزواج دائما يكون في موسم البلح، وأن مهرجانات واحتفالات الزواج هي أهم أحداث الحياة الاجتماعية، وكانت هناك عدة أهداف لهذه الأنشطة، بالإضافة إلى جمع شمل عائلتين وتقوية الروابط بين الأقارب من خلال الزواج، ويحلّل التغييرات التي طرأت على العادات والتقاليد التي ترتبط بالزواج في مناطق كالنوبة الجديدة (النوبة المصريين) وقسم مراحل الزواج إلى ثلاث مراحل، احتفالات ما قبل الزواج، واحتفالات الزواج، واحتفالات ما بعد الزواج، وأهمية المشاهرة، وأهمية زيارة النيل وإطعام ملائكته (شلبي: 2003: 4).

الزواج عند الدناقلة: إن كثيراً من السمات العامة للزواج في منطقة دنقلا ظلت في إطارها التقليدي على الرغم من التغير الذي حدث في كثير من القيم والتقاليد والعادات الثقافية. ومن هذه السمات الزواج من داخل الأسرة الممتدة أوالعائلة الكبيرة، مثل زواج أبناء الخؤولة والعمومة، والزواج اليوم مع تجاوز لهذا الإطار الضيق إلا أنه لازال يتم في إطار الأهل والعشيرة والقبيلة. أما المجموعات الأخرى التي وفدت إلى المنطقة واستقرت بها فقد تأثرت كثيراً بنمط الزواج في هذه المنطقة، وقد تم استيعابها إلى درجة كبيرة داخل مجتع دنقلا النوبي. هناك تغير في مسألة الاختيار في منطقة دنقلا، ففي الماضي لم يكن في مقدار الشاب أن يختار عروسه بنفسه، كما

لم يكن في مقدور العروس أن ترفض العريس إذا قبل به والدها. وبالنسبة للشاب فإن اختيار العروس من ضمن مهام والديه يختارانها برغبتهما، مع قبول الإبن عن طيب خاطر. وقد تغيرت الصورة الآن نسبة لارتفاع نسبة التعليم بالنسبة للجنسين. ونسبة الزواج تكون دائماً بين العشرين والثلاثين للبنات. وما بين الثلاثين والأربعين للبنين (بلال: 2001: 76).

نظام الزواج في غرب السودان:

الزواج عند الفور: تعتبر قبيلة الفور من القبائل الكبيرة المستقرة في غرب السودان بولاية درافور. يتم الزواج عندها وفق أربعة شروط وهي: أولاً: سلامة الرجل مما يشبه المثل العليا للرجولة. ثانياً: رضا الأسرتين (الأهل) بالزواج. ثالثاُ: تقوية صلات الرحم. رابعاً: تفادى تسرب الأفراد خارج مجموعتهم، خاصة البنت لاعتقادهم أن زواجها خارج الأسرة إنقاص للعشيرة (عبدالجليل، وخاطر: 1977: 90).

من عادات الفور أنهم يميلون لتربية الأبقار وانعكس ذلك في الاختيار حيث أنهم لايميلون إلى زواج بناتهم إلى من لا يملك أبقارا. وعندما يتقدم الشاب للزواج لابد أن يقدم بعض الأبقار وهي بمثابة المهر للزوجة، وبعدمه يدفع العريس قيمتها نقوداً. وهذه العادة قد تكون جاءت من القبائل الجنوبية. ويفضل الفور الزواج الداخلي من بين أبناء العمومة والخوؤلة وغيرهم داخل الأسرة الواحدة (حاج حمد: د.ت: 21).

بعد الاختيار تتبع ذلك سلسلة من الإجراءات الجانبية مثل إعلان الخطوبة وإجراء مراسم العقد والزواج. ولابد للشاب أن يتشاور مع أصدقائه ويكسب تأييدهم ويعمل في ذات الوقت على إقناع الطرف الآخر من صديقاتها، فأحياناً يتم اجتماع صديقات الفتاة مع الشخص الذي يريد الزواج فيوجهن له أسئلة نيابة عنها في كل أحواله العامة والخاصة فإذا رضين بالأجوبة فذلك يعني أنها رضيت به (عبدالجليل، وخاطر: 1977: 90).

وهناك ميزات حسنة لدى قبائل الفور عند الزواج، لابد للشاب الذي ينوى التقدم للزواج ان يكون حافظا لعدة أجزاء من القرآن الكريم (حاج حمد: د.ت: 21). ويعترف الفور للمرأة بالوعي والحرية الصلاحية في الموافقة على اختيار شريك حياتها ذلك لأنهم يقدرون أن الحياة الزوجية

إذا لم تبنى على الرضا والتفاهم والتوافق فإنه لن يؤدى إلى تحقيق الغايات الاجتماعية التي من أجلها يرتبط الرجل والمرأة في منزل الزوجية (عبدالجليل، وخاطر: 1977: 91).

الزواج عند الرزيقات: يبدأ الزواج عند قبيلة الرزيقات التي تنتمي بجذورها إلى قبائل جهينة، ويسكن أغلبهم في منطقة – الضعين – يبدأ نظام الزواج بالاختيار وعادة ما يتم بواسطة الأهل، وبعد الخطوبة والاتفاق بين الطرفين تبدأ مراسم الزواج ببناء بيت العرس أمام القرية، وهو عبارة عن منزل مستطيل مصنوع من قماش الدمورية ويزين بالبروش وريش النعام وتفرش الأرضية أيضاً بالبروش والفراء المعدة من جلد البقر ويوضع داخل البيت سرير وهو مجلد من جلد البقر وفى حجمه مثل "سرير الدبل" (عبدالجليل، وخاطر: 1977: 19).

يحتفل الرزيقات بالزواج بالغناء والرقص وسط الزغاريد والذبائح والمأكولات والمشروبات ووسط هذا الفرح تتحرك السيرة، ويمتطي العريس حصاناً ويحمل في يده سيفاً، ويكون السرج مفروشاً بالفردة المصرية (الثوب) المعطرة وفيها عدة ألوان ويركب خلف العريس طفل أو صبي ويشترط أن يكون اسمه (محمد)، وعندما يصلون إلى بيت العرس المشار إليه، ينزل العريس وهو محمول على سرجه ولا يضعونه بل يدورن به حول البيت ثلاث دورات، وبعد ذلك يوضع على عنقريب عليه سجادة وعليه وسادتان من الجلد محشوتان بالمسك والقرنفل والمحلب ويكون البيت كله معطراً، ويحمل الشباب العريس مرة أخرى بالعنقريب ويتجهون به إلى بيت نسيبته والدة العروس، ويخاطبها الشباب قائلين لها: أحضرنا لك ولدك فتقول لهم أعطيته ثوراً، وتبدأ بعد ذلك في ذكر طلباتها، ويقف والد العريس من خلف العريس وينازع والدة العروس لتخفيف طلباتها، وأخيراً يلتزم العريس بدفع ما يتم الاتفاق عليه. وبعد ذلك يحمل العريس إلى بيته ويضرب السلاح، ويلعب أهل العرس لمدة عشر دقائق لعبة (أم دقينة) ويشترك فيها الأولاد والبنات ومعهم الكبار والصغار.. ويحضر الفكي ويقرأ سورة يس ويقرأ معهم الفاتحة ويتجهون خلف البيت حيث مراسم الاحتفال والابتهاج، وترسل أم العروس صينية العريس. وتستمر ليالي الفرح سبعة أيام. وفي اليوم السابع ينزلون بيت القماش الذي يسمونه الحجيل وينتقل العريس لمنزله (البادي: 1995: 19).

الزواج عند الحوازمة: الحوازمة من القبائل العربية البقارة، التي تسكن جنوب كردفان، ويرجع نسبهم إلى أولاد حازم هم قسم من سِبِس "بكسر السين والباء" وهو فرع من قبيلة طيء بمصر.

يقول ماكمايكل: (يبدو أن هناك ارتباطاً بين الحوازمة الأصليين وبني حرب بالحجاز الذين يجاورون جهينة). كما أن هناك رواية ترجع نسبهم إلى قبائل جهينة (صالح: 2004: 20).

الزواج عند قبيلة الحوازمة يبدأ باختيار شريكة الحياة منذ وقت مبكر، فقد تنشأ فكرة أو علاقة الارتباط الزوجي يوم خفاض البنات، حيث يقوم الأب الذي يرغب في أن تكون الطفلة زوجا لأحد أبنائه بوضع قطعة من القماش جديدة على البنت يوم خفاضها، وهو يقول: فلانة دى أنا دايرها لولدى فلان. ويضع بذلك بذرة لعلاقة زوجية مرتقبة، ويقوم برعايتها من كسوة وخلافها. ويفضلون الزواج من الأقارب. الخطبة في قبيلة الحوازمة تتم على مرحلتين الأولى هي الإعلان المسبق بنية الخطبة عن طريق الحجز. أما الثانية فعندما يحدد والد الشاب فتاة بعينها ويطلب يدها لولده. المهر قديماً عند قبيلة الحوازمة كان عبارة عن الضراع والفأس والشرك، ولكن بعد أن انتعشت ظروفهم الاقتصادية نتيجة التحول اضطرارياً لرعاية الأبقار وامتهان حرفة الزراعة، أصبح مهر الفتاة عبارة عن سبع بقرات (صالح: 2004: 20).

قبل القران تقوم أسرة الشاب بتجهيز الشيلة* حيث يحدد أيام الأسواق المحلية عندهم لشراء الحاجات المحددة مسبقاً وغالباً ما تكون محصورة على بنات الحي ومعهن بعض النسوة الكبار في السن، ويتم الشراء وسط الأغاني والزغاريد. بعد عقد القران يسوق الزوج بقرة بكراً أو رباعية إلى أسرة الزوجة، فتظل هذه البقرة تحت منفعة الزوجة، ووالديها.

يتم التحضير المبكر ليوم العرس فتقوم الفتيات بإعداد زينتهن الخاصة وتتم عملية تجديد المشاط ويقوم الشباب بتجديد أحذيتهم وإعداد الكشكول والريش، ويقوم والد العريس بالصرف على التزامات الزواج. ومن العادات دق الرحل والرحل عندهم عبارة عن جوال من الذرة يتم دقه ليصير دقيقاً، والدق له طقوس معينة حيث المشاركة الجماعية من شباب الحي من الجنسين وسط الزغاريد والصياح (صالح: 2004: 20).

يمثل بيت العرس ركناً أساسياً في إتمام عملية الدخلة حيث يتم بناؤه بطريقة جماعية يشارك فيها الجنسان من شباب الحي، وتبدأ العملية بالفزعان لإحضار الشعب والمطارق واللحاء، ويبنى المنزل على شكل بيضاوي ويعرش بالبروش والشقاق التي توضع بشكل هندسي بديع. بعد

* - الشيلة: يقدمها العريس لأهل العروس وهي عبارة عن احتياجات وملبوسات وذهب ومأكولات ، وتكون كمياتها حسب القدرة المالية للعريس.

تجهيز المنزل تتم عملية السيرة إلى منزل العروس وتسمى عندهم البوشان. وفي عصر اليوم السابق ليوم الدخلة يحضر العريس ويقومون بإجلاسة على عنقريب يتم فرشه ببرش وسط الزغاريد من النساء وأهازيج وصياح الرجال. وهيئة العريس في يوم عرسه تكون مميزة حيث يقوم بلبس الثياب البيضاء ومركوب من الجلد ويضع على رأسه عمامة بيضاء وشالا على الكتف ولايلبس شالاً أسود ولا أخضر زرعياً في ذلك اليوم، ويحمل العريس سيفاً بيده اليمنى. يجتمع الممشاركون وتحضر أسرة العريس حصاناً مسروجاً ويتم تزينه كما تزين العربات اليوم. ويضعون على السرج قطيفة بالألوان المزركشة، فيركب العريس وسط صيحات الأهل والزغاريد. تبدأ السيرة يتقدمها الشباب من الجنسين وكبار السن مع البخور متجهين شرقاً وتسمى صبوحة، ويتم نثر المياه على المشاركين بواسة السعف، ويبدأ غناء (البوشن) بالتبريكات على الرسول (ص) وعلى آل البيت. أما العروس فتكون في كامل هيئتها (صالح: 2004: 21).

عندما يقترب ركب العريس من مكان العروس تتسسلل مجموعة من الشباب من أبناء عمومة العريس وينطلقون إلى مكان اختباء العروسة، ويحمل الشباب العروسة ووزيرتها حيث يتم لف العروسة وصاحبتها بالقرمصيص. بعد أن يتم ربط الرحط حول وسط العروسة. ويقف ركب العريس بوقوف الحصان أمام مدخل بيت العرس فيسحب سرج الحصان فيحملون عليه العريس ثم يتم إدخاله لقطع الرحط. مع الرقص مع إيقاعات المردوع الدرملي لفترة وجيزة، ثم تتم دعوة الجميع لتناول وجبة العشاء الذي يتكون من عصيدة الدامرقى بملاح التقلية واللحوم واللقيمات والشاى. وبعد انتها مراسم العرس ترحل العروس على ظهر التور أو جمل، أما الآن فأصبح يتم بوسائل النقل المتوافرة اليوم (صالح: 2004: 22).

الزواج عند الكبابيش: قبيلة الكبابيش من القبائل العربية البدوية الكبيرة، وهم رعاة الأبل المترحلون المتجولون، وملامحمهم مازالت تحمل الطابع العربي والملامح البدوية. أول استيطان لهم بعد دخولهم السودان كان فى منطقة دنقلا ثم ارتحلوا إلى مدينة أم درمان ثم إلى مناطق مختفلة في كردفان والنيل الابيض وخلافها (البادي: 1995: 19).

الزواج عند قبيلة الكبابيش يبدأ بالاختيار ثم الخطبة وتسبق فترة الزواج احتفالات لمدة سبعة أيام جراري تسمى السهاري وتقدم فيها أغاني الجراري وأغاني الدلوكة بواسطة البنات. وعند بداية أيام الزواج تذبح الزبائح وتقدم المشروبات. يتجه العريس إلى منزل أهل العرس (السيرة) وهو محاط

بالبخور والعطور وهو يحمل سيفه وبجانبه وزيره، وبكون طفلاً في نحو الرابعة من عمره، ويقضي العريس عدة أيام بالحجيل المنزل المصنوع من الدمورية، وتقام حفلات الزواج (البادي: 1995: 20).

يسمى اليوم الثالث التبلوكة ويمكن أن يرجع العريس إلى منزل أهله أيام الاحتفالات شريط أن يرجع قبل مغيب الشمس. وإذا عاد بعد ذلك يحاكم بغرامة مالية. ينام العريس في السبعة الأيام الأولى على فرش على الأرض ولاينام على سرير أو عنقريب. وفي اليوم السابع يقدم للعريس ومن معه صحن البرة ويعد الطعام بشرموط من لحم الصيد مع إضافة سمن كثير عليه. ويغير شكل الحجيل من الداخل حيث يزين بالصدف والكران وهو من الصوف الأسود والشلايل والمقارع والحربات، وتسمى هذه العملية تقليب البيت (البادي: 1995: 53).

تقوم النساء لمدة سبعة أيام في تجميل العروس وأهم شيء عندهم المشاط، وتذهب بعض النساء مع العروس في الليلة السابعة ليوصلنها إلى العريس ومعهن امرأة كبيرة في السن يصفونها عندهم بالبخات وتقوم بواجب الدعاء لله سبحانه وتعالى أن يرزق العريس والعروس بالمال والبنين (البادي: 1995: 54).

الزواج عند قبيلة المجانين: قبيلة المجانين من القبائل العربية وهم أبناء عمومة لقبيلة المسلمية المعروفة في السودان، ويلتقى نسبهم عند سيدنا أبي بكر الصديق. يسكن المجانين في منطقة المزروب محافظة بارا بولاية شمال كردفان. ويرجع اسم القبيلة المجانين إلى جدهم، وقد كان كريماً مضيافاً يلتقط سكينه بسرعة ليذبح لكل ضيف يحل عنده وإذا أتاه ضيف ولم يكن عنده مايذبحه فانه يحمل سكينه ويهجم بحماس شديد على زريبة أي شخص من أهله ليذبح منها ولايستطيع صاحب البهائم أن يرجعه أويعترضه لأنه فى أقصى حماسه وانفعاله ولذلك وصفوه بالمجنون (البادي: 1995: 117).

كانت لقبيلة المجانين عادات في الزواج، عندما تخطب البنت وتبدأ مراسم الزواج تقوم أم العروس بعد المال والماشية مهر العروس الذي قدم لبنتها وسط الغناء والزغاريد والفخر، ويمتدح الغناء الفرسان وتوصف الأبل. وفي الزواج كان المجانين يقومون بإعداد الحجيل حسب عادات المنطقة بإحضار طاقة من الدمورية أو قماش ويلف على جدار المنزل، وفي الماضى كان

العريس يقيم داخل هذا المنزل أربعين يوماً، ولايخرج منه إلا إذا طلعت الشمس، وإذا خرج ينبغى أن يعود لمنزله قبل غروب الشمس. في السيرة إلى منزل العروس يغني المجانين بعض الأغانى منها:

يركب الدبسه أم حجول

ويقطع الخشم البقول

بعد انتهاء أسبوع من دخول العريس تعد أم العريس عمرة من السعف، وتضع فيها كمية من الذرة وتضع عليها سعفة وتعد مبخر صندل ويسير العريس وتتبعه أمه وخالاته ومن معهما ويتجهون شرق المنزل حتى يصلوا إلى أقرب شجرة، ويفضل أن تكون شجرة هجليج "لالوب" ويقطع منها العريس فرعاً ويعود لمنزله، وعادة قطع الفرع معروفة فى كثير من أنحاء السودان. وفي الماضى لم يكن العريس يغسل ملابسه وتغسلها له بنات ونساء الحى. وإذا كانت متسخة ومليئة بالدهن فلهذا دليل على اهتمام نسيبته به. ويذبح العريس في يوم ما يعرف عند السودانيين بيوم الأربعين ويفضل أن يذبح نعجة (البادي: 1995: 126).

الزواج في شرق السودان:

الزواج عند البجة: قبائل البجة من القبائل الكبرى التي تستوطن شرق السودان، وتقيم في المنطقة التي تقع بين بين البحر الأحمر شرقا ونهر عطبرة والنيل غرباً ثم المنحدرات الشمالية للهضبة الأثيوبية في الجنوب وحتى الحدود – السودانية المصرية شمالاً وشرقاً. والفروع الرئيسية لهذه القبيلة هم البشاريون والأمرار والبني عامر والهدندوة. مرت هذه القبيلة بمراحل تاريخية مختلفة كان لها الأثر في حياتها الاجتماعية والثقافية ومنها العادات والتقاليد المتبعة في الزواج (إبراهيم: 1970: 23).

مجموعة البجة يفضلون الزواج المبكر، وأيضاً يفضلون الزواج الداخلي من الأقارب داخل القبيلة أو البدنة (العائلة أو العشيرة)، ويفضل الزواج من أبناء العمومة. وإذا تقدم رجل غريب لبنت من البجة لا يتم ذلك إلا بعد استئذان أقاربها. تبدأ مراسم الزواج بالاختيار أولاً بالتفاوض بين الطرفين أهل العريس وأهل العروس. ويمثل الأسريتن والدا العروسين، ثم الخطبة وعادة ما يقدم الخطيب هدية من السكر والبن أو بعض الحيوانات مثل الماعز وأشياء أخرى مختلفة مثل

الأسلحة والأقمشة. وهذه الهدايا ترد إذا كان طلبه غير مقبول، أما إذا تمت الموافقة والخطوبة فيقدم المهر والصداق الذي يقضي به العرف، والمهر عندهم عبارة عن ثلاث من الأبل وثلاث من الغنم يعطي منها الثلث لوالد العروس وثلث لأم العروس والثلث الأخير لأكبر الإخوان سناً. وأحياناً يكون المهر أكبر من ذلك حسب إمكانات العريس. وتقدم للزوج والزوجة ناقة عشراء وتكون هذه بداية الحياة الزوجية حيث تقوم النساء فى بناء منزل الزوجية الجديد، ومن العادات المتبعة أن تعد النساء عند الشروع في بناء منزل الزوجية طبقاً فيه تمر وخاتم من الفضة والذهب حيث يشتمل بناء المنزل على إعداد البروش والشمل وتحليها بالأصباغ والألوان. ويربط عند مدخل المنزل شجر الدوم وتعلق على حبل والغرض من هذه العملية هو جلب السعادة والتعويذ ولا توضع إلا في حالات الزواج لأول مرة. وتستمرالاحتفالات عدة أيام وتذبح الذبائح في يوم الزفاف مع الرقص والغناء ويتم توزيع الطعام والمشروبات، مع تبريكات الأهل والأصدقاء (يوسف: 2002: 24).

الزواج عند الرشايدة: الزواج عند قبيلة الرشايدة أو الزبيدية ووهذه القبائل يرجع نسبها إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد وإلى زوجته وبنت عمه زبيدة. وهاجر هؤلاء إلى بلاد السودان في نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى حوالى سنة 1846م. وتسكن الآن في ولايات البحر الأحمر وكسلا (بشير: 2004: 46).

العلاقة بين الرجل والمرأة في قبائل الرشايدة تمتاز بالصرامة مقارنة بالقبائل الاخرى في المنطقة. فالمرأة الرشايدية هي صاحبة الكلمة داخل الخيمة. وتسيطر على الفتيات سيطرة كاملة. وتستطيع أن تتعامل مع الرجال في مسائل البيع والشراء في بيع المنتجات التقليدية التي تنتجها، فهي ماهرة في تسويق منتجاتها. ولكن هذا يشوبه الخضوع لسيطرة الرجل. الاختلاط بين الرجال والنساء غير مسموح به لكن ليس هناك فصل شديد بين الجنسين كما يحدث لدى البشاريين (يوسف: 2002: 114).

الزواج يتم داخل القبيلة، فقبائل الرشايدة لا يختلطون بعلاقات النسب مع القبائل الأخرى، وقيمة المهر مرتفعة جداً. وعن الزواج واستمراريتة لدى قبيلة الرشايدة يكون في إمكان الرجل أن يبدل زوجته بزوجة رجل آخر من نفس القبيلة على أن يدفع الفرق من النوق. وهذا النوع من الزواج هو المعروف باسم زواج الشراء (يوسف: 2002: 114).

احتفال الزواج عند قبيلة الرشايدة يختلف عن العادات السودانية المعروفة فهو له طابع عربى خاص نسبة لعدم اختلاط القبيلة بالقبائل السودانية التي هاجرت إلى السودان منذ وقت بعيد. يحتفل الرجال معاً في مكان واحد. ويرقص كل من الرجال والنساء بالسيوف العربية. فيقفون في صفين متقابلين وهم يحملون السيوف ويرقصون.

يجتمع دائما أفراد القبيلة في أوقات الفراغ أو الأمسيات الاحتفالية حيث يندمج أفراد القبيلة في الأحاديث الشفوية الصافية. ويقصون القصص. وأحيان يسود هذه الأحاديث الذكاء الطبيعي وحضور البديهة ويتبارون في الألغاز يقول الشعر أو أقوال الحكمة. والأفتخار وتمثيل أدوار الشخصيات العربية المشهورة مثل عنترة بن شداد وحاتم الطائي، والقصص الدينية مثل قصة يوسف وأخوته ويونس والحوت وسليمان. وقصص تاريخية مثل فتح خيبر وقصص عن السحر وقصص تعلم الحكمة. وبعض القصص تتخللها الأبيات الشعرية (يوسف: 2002: 115).

المبحث الثاني: نظام الزواج في مدينة ودمدني:

الاختيار للزواج:

الاختيار للزواج هو عملية اجتماعية يتم بمقتضاها زواج رجل بأمرأة، وبداية لحياة أسرية دائمة مع بقاء الإنسان، وبداية لعلاقة يربطها الدم والنسب، ويعرف المصطلح في اللغة الإنجليزية Choosing a partner أو Mate Selection وتتأثر عملية الاختيار للزواج بتقاليد المجتمع ودينه وعرفه وثقافته وسياسة الدولة كذلك. يعني ذلك أنه سلوك اجتماعي يتحدد برغبات الشخص يتأثر بكل الظروف الاجتماعية المحيطة بالفرد، وتحت سيطرة معايير المجتمع وقيوده وعاداته وتقاليده وقيمه (صبير: 2002: 42).

قديماً في الفترة مابعد الاستقلال 1956م لم يكن في استطاعة الشاب في مجتمع مدينة ودمدني أن يختار البنت التي يريد الاقتران بها، والفتاة عليها واجب الطاعة فيما يختاره لها والدها. يقول الأمين الطيب أبوقناية: كانت الأسرة تقوم بتحديد العلاقة بين الولد والبنت أو بمايسمى الزواج المرتب، وقد كان اختيار العروس من مهام الوالدين والأسرة، وكانت الأسر تفرض على أولادها الزواج الداخلي (Monogamy) في حدود أبناء العمومة والأخوال وغيرهم من الأقارب، وقد كانت التقاليد لاتسمح للشابة أن تبدي رأيها في الاختيار، وكان زواج الأقارب يمثل نوعاً من الترابط الأسري والتكافل الاقتصادي. وخلال سن البلوغ للفتاة يقل خروجها بشكل عام ويعني ذلك

أن الفتاة بلغت سن الزواج، ويعتبر هذا بمناسبة إعلان للشباب للتقدم للزواج إليها. وقد يكون الشاب أحياناً قد رأي الفتاة صدفة أو في حفلة زواج، أو ربما يعرفها منذ الصغر لأنها تربت في الحي، أو قد سمع عنها فقط (البصير: 2010: 119). وتلعب النساء أدق الأدوار في أمر الزواج فهن رسل المعرفة ووحدات الاستخبار (سعيد: 2004: 26). وللأم والأخوات الدور الأكبر في عملية الاختيار للشاب والموافقة عليها، ثم تجيء بعدها مراسم الخطوبة بعد تجييء موافقة أهل الشاب والشابة، ويقوم باتمام عملية الخطوبة أهل الشاب من الرجال، الوالد والأشقاء والعمومة والخؤولة والأهل والجيران في الحي" (البصير: 2010: 119).

ويقول المكي، فيصل أحمد (2016): إن نوع الاختيار في مجتمع البحث كان يتم عن طريق الأهل داخل المجموعة القرابية، ويوجد في المجتمع بعض الاختيار الشخصي بنسبة ضئيلة نسبة لوجود عادات وثقافات وهجرات سابقة للمدينة من خارج السودان خلال فترات الحكم التركي والإنجليزي. ولكن في الغالب كانت الأسرة تسيطر على عملية الاختيار حيث كان يتم عن طريق الأهل دون اعتبار لرغبة الشاب أو الشابة وهي الطريقة التي كانت سائدة في المجتمع، وكان هذا يعتبر شيئا عاديا ومقبولاً.

ويرى الباحث أن النمو الحضري أثر على الأسرة التقليدية وحدث تغير في وظائفها التربوية والاقتصادية، وبالتالي تغيرت أدوارها بما في ذلك نظام الزواج، وأصبح الاختيار الذاتي هو النمط المفضل فى الاختيار. وأن هنالك دخول روابط وعلاقات جديدة تنشأ بين الجنسين في الوقت الحاضر في مجال البحث والعمل والوظيفة تؤدى إلى الزواج، ويعزى ذلك لارتفاع مستوى التعليم، والإستقلال الاقتصادي للأبناء، فأصبح الشاب والشابة لايرغبان في الزواج من دون ان يعرف بعضهم البعض.

"ويرى الجوهري (61:1998) التعليم يدفع الفرد لتغيير اتجاهاته أو معتقداته بالنسبة للمتغيرات التقليدية التي تتصل بالتأثير في عملية الاختيار الزواجي كعملية ينبغي أن تتم في إطار معين، ومجال محدد، من الزواج كأصل الأسرة وروابطها القرابية، وغير ذلك من المحددات التقليدية لعملية الاختيار الزواجي". ويتضح أن أغلبية السكان يرون أن عملية الاختيار الزواجي يأتي في المقام الأول التوافق بين الشاب والشابة.

التعارف:

يبدأ الزواج بالتعارف وربط العلاقات الاجتماعية والتكافل والتعاون بين الناس، كما يرتبط بتبادل الهدايا بين الجيران والأهل والأصدقاء. التَّعَارُفُ: مصدر للفعل تَعَارَفَ، يقال: تَعَارَف القومُ تَعَارُفاً؛ أي: عَرَفَ بعضهم بعضاً، ويقول الله تعالى: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ..) (الحجرات: 13). وبعد الاختيار يتم التعارف بين الأسرتين؛ حيث يقوم أهل الشاب بزيارة متفق عليها إلى أهل الشابة حيث يتم التعارف، ويقدم كل منهما أهله والتعريف بهم، وغالبا ما تقوم الأسر بتقديم أنفسها من حيث التعريف بالقبيلة وأصل الأسرة، وإذا كانت لديهم بعض الأشخاص المبدعين والمشهورين سواء على المستوى العلمي أو الاقتصادي أو الديني أو السياسي أو الاجتماعي او شخص مبدع آخر على المستوى الفني أو الرياضي؛ يقوم الأهل أي من الطرفين بتقديمهم أثناء التعارف مما يدخل ذلك السرور والبهجة والثقة بين الطرفين (البصير: 2010: 119).

الخِطبة:

كانت الخِطبة في الماضي مجرد مقدمة تسبق الزواج مباشرة، وهي في التقاليد المعروفة تمهد لها النساء تبدأ عملية الخِطبة بذهاب أم الشاب مع أخواتها أو خالاتها أو عماتها لزيارة أسرة الشابة زيارة عادية للتأكيد، وتأتي الموافقة بعبارة إنشاء الله خير. ثم يتدخل الرجال حيث يتولى والد العريس مهمة إبلاغ والد الفتاة أو ولي أمرها، وعادة مايطلب أهل الشابة فرصة للتشاور مع الأسرة القرابية. وبعد الموافقة يقوم أهل العريس بتقديم (قولة خير) وهى عبارة عن مبلغ من المال تقديراً لأم العروس على موافقتها ((البصير: 2010: 120).

بعد انتشار التعليم والوعي بالنسبة للرجل والمرأة اليوم، تبدأ عملية الاختيار بالاتفاق أولا بين الشاب والشابة ثم يأتي بعد ذلك دور الأسرة لاتمام مراسم الخطبة بعد موافقتهم، وأصبح للشابة رأي غير رأي والديها بعد أن لم يكن لها حق الرفض من قبل طالما تمت خطبتها من والديها، وقد أصبحت مسألة الخِطبة من خارج الأسرة القرابية هي السائدة في مجتمع البحث الآن. ولكن لم يطرأ تغيير كبير في ممارسة طقس الخِطبة فمازال الأهل والأسرة يشاركون في ممارسة الخِطبة حيث يذهبون إلى أسرة العروس ويطلبون يدها من أهلها، وتتم بعد ذلك الموافقة والاتفاق على مواعيد الزواج وطريقة الاحتفال به وأوجه الصرف عليه. وإعلان الخِطبة أصبح يكلف الشاب

تكاليف مادية عبارة عن هدايا متنوعة من الملابس تحتوى على فستان الخِطبة والعطور والحلي الذهبية والحلوى وتختلف قيمة الهدايا حسب مقدرة الشاب المادية (البصير: 2010: 119).

سد المال:

سد المال هو أحد أوجه أركان الزواج الشرعية حيث لايتم إلا به، ويسمى أحياناً الصداق، وفي الكلمة إشارة إلى المصادقة على الزواج، وهو المال الذي يدفعه أهل العريس لأهل العروس مقابل تزويج ابنتهم لابنهم. يبدأ طقس سد المال أو خلاص المال مجرد إعلان الخطوبة حيث تشرع الأسرة مباشرة في إكمال عملية مراسم الزواج. ويتم تحديد يوم لسد المال، وهو واحد من أوجه الصرف الضرورية. تذهب مجموعة من الأهل والأقارب من الرجال والنساء وهم يحملون المال والهدايا. قد لا يتعدى المال خمسة جنيهات في فترة الثلاثينيات والأربعينيات، والـ (30–100) جنيه في فترة الخمسينيات والستينيات – هذا عندما يكون العريس ميسور الحال وله وظيفة محترمة. ويقوم والد العريس بعد تلك النقود أمام الجميع وتسليمها لوالد العروس (سالم: 1996: 94).

نجد أنه قد حدث تغيير في ممارسة طقس سد المال حيث أصبح (سد المال) شأناً نسائياً؛ إذ تأتي مجموعة من النساء من أسرة أهل العريس والجيران يحملن المال، ويحمل المال أي أوراق النقود على صينية بطريقة فنية وهندسية رائعة بشكل مخروطي مثل القبة، ويضع حول المال كميات من العطور والذهب الخالص، ويتم غلاف هذا الشكل المخروطي بطبقة من البلاستيك الشفاف مع الألوان الزاهية. وأصبح المال الآن يقدم مصحوباً بالشيلة والشبكة التي تتكون من ملابس العروس والعطور والذهب والمواد التموينية. وقد أصبحت تكلفة سد المال كبيرة للغاية إذ قد تصل أحيانا عند بعض الأسر إلى 100 ألف جنيه حسب المقدرة المالية. والمال غالباً ماتستعين به أسرة العروس به للتجهيز ليوم الزفاف والصرف على بعض المستلزمات وإكرام الضيوف (البصير: 2010: 121).

ويرى الباحث أن المهر من المقومات الأساسية لنظام الزواج، وأن المركز الاقتصادي والدخل العالي من عوامل ارتفاع تكاليف الزواج، فاذا كان الشاب أو أسرته في حالة ميسورة يدفع أكثر من غيره، وفي نفس الوقت تتوقع أسرة الفتاة ذلك، مما يخلف آثاراً سيئة على غيرهم الذين يضطرون إلى تقليدهم. وأن العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية أصبحت في الوقت الحاضر تدخل في أبواب التنافس في تحديد المهر.

الشبكة والشيلة:

قديماً يعتبر هذا الطقس إعلاناً ببدء إعداد العروس لاحتفالات الزواج. ومراسم الشبكة يحضر أهل العريس الشنطة وهي عبارة عن هدايا للعروس تحتوى على ملابس وتقول عقارب، فاطمة محمد على (2010): "كانت الشبكة تتكون من ثوب وفستان وفركة وشبشب. والثوب "كرب أبسيجان"، وقد كانت الموضة السائدة يقدم ثوب يسمى عرش السرايات وآخر يسمى "لملم الستات"، وتقدم فركة "أم صفيحة حمراء بزيك أحمر" ويتم تقديم الشنطة بحضور الأهل والجيران. ويقوم أهل العروس بضيافتهم وتقديم وجبة عشاء لهم. وتقدم مع الشبكة أيضاً الشيلة حسب الاتفاق بين أهل العريس والعروس، وهي عبارة عن مواد تموينية غذائية تستخدم في يوم الزواج – عبارة عن سكر وزيت ودقيق وفحم وشاي وصابون وروائح وحلوى وبلح وبقوليات ومستلزمات العروس وبعض المواد الخاصة بمراسم الفرح – وكان في الماضي توضع هذه الأشياء في أوان تصنع بالسعف أو القفة، وكان الأهل كلهم يساهمون في تجهيز المواد بالتبرع وتسمى "المشايلة" بمعنى التكافل أو التعاون" .

وتقول عبدالله، فاطمة الأمين (2014) تحتوي الشبكة والشيلة اليوم على شنطة العروس على ملابس مثل الثياب السويسرية والإنجليزية والفساتين والملابس الداخلية والأحذية وعلبة المكياج والكريمات والصابون والعطورالسائلة مثل الفلير دمور والريفدور وسوار باريس والقلامور والكلونيا وعطر الصاروخ وبت السودان والسرتية والمحلبية والمجموع والصندلية وعطور أخرى. والعطور الجافة مثل الضفرة والصندل والمحلب والمسك والقرنفل. وأحياناً يتراوح العدد داخل الشنطة من (6– 22) قطعة من كل المحتويات حسب مقدرة العريس المالية، وقد جرت العادة الآن أن يقدم العريس بما يسمى ثوب أم العروس فاطمة الأمين عبدالله (2014). وتضيف عبدالله، سمية أحمد (2014) تقدم مع (الشنطة) المواد التموينية اللازمة لصنع الوليمة، وهي تحتوى على السكر وزيت الطعام ودقيق القمح ودقيق الذرة، والفحم والبصل وحطب الطلح، والجبنة والزيتون والشعيرية والسكسكانية والصلصة والفول السوداني والكبكبى والبهارات، والشاي والبن، وصابون الحمام والغسيل، وتحمل الشيلة إلى منزل العروس بواسطة النساء في دفار أو عدد من البكاسي، وهن يرددن الزغاريد والاغاني التي تتحدث عن الفخر والكرم والحسب والنسب لأهل العريس. وفي هذا اليوم تتم دعوة الأهل والأقارب والجيران وتقدم المرطبات والحلويات وتحرص والدة

العروس على دعوة قريبات العروس الأخريات من النساء الطاعنات في السن وخالاتها وعماتها وبناتهن وجاراتها.

القيدومات:

تبدأ القيدومات في مجتمع البحث قديماًَ بعد تقديم عشاء العريس إذ يدعو العريس أصدقاءه فى الأمسيات كما تدعو أخواته وقريباته بنات الأهل والجيران والأصدقاء .. ويقول حامد، محمد حامد (2016): تبدأ حفلات الرقص التى يحييها فنانو الحى بالمجان، وتستمر الحفلات في بيت العريس حتى يوم الحنة وهو عادة اليوم الذي يسبق اليوم الذي يسير فيه العريس إلى بيت العروس. وظاهرة القديدومات بدأت تتلاشى عند الأسر ذات الدخل المحدود، أما الأسر الميسورة والمتوسطة فقدت أبقت على هذه العادة وحتى اليوم، وقد تستمر إلى أيام قبل يوم الزواج.

يوم دق الريحة:

الطيب (الريحة) له أثر في الحياة العربية وكان من حب العرب للطيب والعطر وصفوا كل شئ يستحسنونه بأنه طيب، كالريح الطيبة، وهي الباردة والمرأة الطيبة وهي العفيفة، والأرض الطيبة وهي الخصبة، والبلدة الطيبة وهي ذات الخير الكثير، والطعام الطيب وهو الحلال، والعمل الطيب وهو الحلال، والرائحة الطيبة كرائحة العود والعطر والند وهكذا (القرشي: 1999: 291). وأول مايلفت العربي إلى المراة العربية عطرها وبه تمدح، قال قيس بن الخطيم:

وعزة من سروات النساء تنفح بالمسك أردانها

وقال آخر:

ألم تر أني كلما جئت زائرا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

وقال عنترة:

وكأنّ فارة تاجر بقسيمة سبقت بها طيبا وإن لم تطيب

والفارة هنا غير مهموزة، من الفوران، ويريد بها قارورة الطيب، والتاجر هو العطار. وفي الأبيات الثلاثة مدحوا طيب الثياب وطيب الجسد وطيب الفم وهذه هي الغاية الأطيب (القرشي: 1999: 291).

يقول حامد، محمد حامد (2010): عملية أو صناعة الطيب في مجتمع البحث أو ما يسمى بدق الريحة هو من الطقوس المصاحبة لعملية الزواج، واهتمام السودانيين بالطيب كبير ولنسائنا في ذلك خبرة ولهن فيهن افتنان عجيب. وحرص المرأة السودانية على الطيب مشهور وإن تقدمت في السن. وهي مناسبة اجتماعية تتجمع فيه النساء قبل الزواج بمدة قصيرة في بيت أهل العروس لتحضير العطور البلدية التي تحتاجها العروس أيام الزواج ومابعده .

وفي هذا اليوم يجتمع النسوة في جلسة خاصة، حيث تقوم أم العروس بدعوة جارتها وصديقاتها ونساء الأسرة. ودق الريحة تقوم به نساء مختصات ولهن خبرة كبيرة في صنع الريحة البلدية المشهورة في السودان، ويعتبر يوماً للتفاؤل – يقوم أهل العروس بإعداد الطعام والعصائر والقهوة والشاي وأحياناً السجائر – وتبدأ علمية طقس دق الريحة بجميع انواعها المعروفة منها السائلة والناشفة. والخُمرة هي خلطة تتكون من الصندل المسحون والمحلب والمسك والضفرة (تستخرج من حيوان بحري)، والصندلية السائلة، وزيت الكركار المعطر، والعطور السائلة المستوردة مثل ريحة سوار باريس وبنت السودان، والصاروخ والفليردمور (البصير: 2010: 123).

أما الدلكة فهي تعمل مع الخمرة في يوم نفس يوم جلسة دق الريحة، والدلكة قد عرفها العرب أيضاً، وسموها الدلوك وهو مايتدلك به من طيب ونحوه "دلك الشيء دلكاً إذا مرسه وعركه، فالدلكة من الدلك"، والعرك أيضاً كالدلك ومنه العروكة أو اللخوخة التي تستخدمها النساء لتنعيم الجسم، وهي عملية سريعة مادتها غير معقدة قوامها العجين والزيت، والدلك والعرك عند نساء العرب عادة معروفة. ووصف البروفسير عبدالله الطيب طريقة عملها فقال: عمل الدلكة أن يُجاء بعجين جيد من الذرة نقي جداً ثم يلطخ على قدح من الخشب في باطنه حتى يلصق به .. ثم يُكفأ ذلك القدح فوق حفرة الدخان .. ويكون فيها الطلح الجيد .. وينضج العجين وحده إذ الأرب (القصد) أن يتغلغل دخانه وزيته في العجين فيذهبان مرة واحدة بكل رائحة أو شذى عجيني فيه حتى يتحول من عجين يؤكل إلى عطر يستعمل. بعد أن تتشرب الخلطة بعبق الدخان والعطر حتى تنضج، تقطع كتلاً أو كريات صغيرة وتوضع في آنية خاصة معدة لذلك. وعند الاستعمال تبل بالعطر أو الخمرة أو الماء وتدلك بالزيت أو الكركار ليسهل خروجها أو دردقتها من الجسم (القرشي: 1999: 298). وبعد عملية دق الريحة توضع الدلكة في إناء أسمه الحق وهو من آنية العرب القديمة، مصنوع من الخشب مجوف الشكل ويشبه العلبة الكبيرة ويكون على اللونين

الأحمر والأسود. ويتم تجهيز واعداد كمية من الدلكة وبخور الصندل تقدم هدية للكل في الصباحية مع بعض الهدايا الأخرى لكل من ساهم من الجيران والأهل وهي عادة معروفة. وقد ظل طقس دق الريحة من الطقوس التي أبقى عليها أفراد مجتمع البحث، بل أصبح باهظ التكاليف(البصير: 2010: 124).

والدلكة هي مقدمة لطيفة ودعوة مهذبة للمعاشرة الزوجية، ولكن كثيرا ما تؤدي عملية الدلك الطبيعي المصحوبة بالدغدغة والمسد والهدهدة إلى هجوم النوم خصوصا على الأزواج المرهقين أو المستنزفين أو الطاعنين في السن فيسلم وجه للحائط ويعطي الزوجة قفاه ويغط في نوم عميق، وفي مثل هذه الحالة يحق للمسكينة ان (تلملم عدتها) وتنهض وهي تردد المثل السوداني الشهير (سجم الدلكتو وأداني عنقرتو) ومعها كل الحق لأن الشاعر العربي قديما قال:

تذم الفتاة الرود بعلها إذا بات دون الثأر وهو ضجيعها

والرود هي الصغيرة اللينة الناعمة الرخصة، ونحن نقول الرخسة نضم الراء ونبدل الصاد سين (القرشي: 1999: 301).

تعليم العروس:

وهي عادة تتم عندما تقترب مواعيد يوم الزواج حيث تقوم مجموعة من الفتيات في الأمسيات في منطقة البحث كل يوم تقريباً .. تتجمع قريبات وصديقات العروس ومعهن عادة خبيرة برقص العرائس لتعليم العروس كل أنواع الرقص التي لابد للعروس من تقديمها يوم الدخلة (البصير: 2010: 124). الدخلة هنا يختلف معناها عن مفهومها الشائع في العالم العربي، وهنا تعني أول يوم لرؤية العريس لعروسه يوم الزفاف ويوم قطع الرحط.

وكانت هنالك عادات معروفة متداولة بين الناس لما كان مجتمع البحث محصوراً والناس تقريباً أهل بعض، لايجدون تحرجاً في ممارستها مثل عادة الشعقيبة، وهي أن صديقات العروس، أثناء أيام تعليم العروس، تذهب مجموعة منهن لأى بيت في الحي، وتأخذ أى شى يخص أحد شبان الحي دون علمه، ولكن بعلم أهله. مثلاً يأخذن عمته أو طاقيته أو ملفحته، وعندما يعرف الشاب ما حدث له عليه أن يقدم مبلغاً من المال يفدي به ما أخذ منه. تكرر البنات أخذ أشياء من أكبر عدد من أبناء الحي. وحصيلة المبلغ الذي تجمعه البنات يصرفن منه على الطعام والشاي المطلوب لليالي تعليم العروس، وقد بدأت هذه العادة في الانقراض بعد أن اتسعت المدينة ونزح

إليها كثير من المهاجرين من الداخل والخارج وجاءوا بعاداتهم فاختفت كثير من العادات القديمة التى كانت سائدة في تلك الأيام (سالم: 1996: 94).

جهاز العروس:

يقصد بجهاز العروس هنا هو تجهيز بيت الزوجية، وأيضا وتجهيز العروس للعرس والزفاف وقد كان جهاز العروس في مجتمع البحث قديماً يتم بصورة مبسطة، غرفة العروس تتكون من السحارة وتقول الحاجة نفسية يوسف أحمد: (2015) السحارة عبارة عن دولاب بشكل يختلف عما عليه الآن، توضع فيها احتياجات العروس والأواني المنزلية والمال والذهب إذا وجد، بالإضافة إلى عنقريبين. وقد كان في الماضي يأخذ حكم العرف الاجتماعي وهو مايقدمه والد العروس أو العريس للعروسة حيث يتم تجهيز أثاثات غرفة العروس بواسطة والدها أما عن تجهيز العروس بالكساء فيتم ذلك بواسطة العريس.

ويرى الباحث أن في مجتمع البحث أصبح جهاز العروس مكلفاً جداً من ناحية التكلفة المالية حيث يتم تأسيس غرفة العروس بأحدث الموبيليات المستوردة من داخل وخارج السودان، ويتكلف العريس بتجهيز غرفة العروس، وإذا كانت حالة العروس ميسورة الحال تساهم مع العريس في تأسيس بيت الزوجية، وهذا يتم دائما عندما يكون الاختيار عن طريق زمالة المهنة أو زواج مصلحة تتكفل العروس بنفقات الزواج.

الدعوات ليوم الزواج:

يكون قد حدد يوم لمناسبة الزواج، وكان في الماضي تقدم الدعوة لجميع الأهل والمعارف ليوم العرس وتكون الدعوة قد قدمت منذ وقت مبكر شفاهة أو عن طريق ورق عادى مكتوب باليد، وكانت الدعوة تقدم لمئات الناس يستقبلهم أهل العريس ويعد لهم الأكل الفاخر بمقاييس ذلك الزمان (البصير: 2010: 126).

يقول سلمان، نزار ميرغني (2015): اليوم توزع الكروتال فاخرة وتتم كتابتها باستخدام الأجهزة الإلكترونية وأحياناً تكتب على الكروت الجلدية بالماء المذهب في شكل رقاع كتلك التي كان يستخدمها القياصرة والملوك سابقاً، وأحياناً تتم طباعة الكروت خارج السودان في أشهر دور الطباعة العالمية. والآن بدأت طريقة جديدة للدعوة عن طريق استخدام الرسائل القصيرة (SMS) بواسطة الموبايل.

وفي الفترة الآخيرة وفدت عادة جديدة وهي كروت فاخرة لدعوة النساء في صالات مغلقة لحضور رقيص العروس والكروت عبارة عن صندوق فاخر فيه هدية للحضور من النساء بعد أن كان في السابق يتم رقص العروس خلال الحفل وأمام كل الحضور.

يوم الحنة (الحناء):

الخضاب والصبغ طريقتان لتلوين عرفتها العرب، ولا يكون الخضاب إلا بالحناء فإن كان بغيرها فهو صبغ. وقد اختضبت المرأة العربية منذ القدم في يديها ورجليها وخضبت شعرها وصبغته، كل ذلك بالحناء، وورد ذكر الحناء في شعر الجاهليين، قال امرؤ القيس:

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مرجل

وفي الحديث النبوي الشريف "عليكم بالحناء فإنه خضاب الإسلام" وقالت العرب: خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء". ولانجد الآن امرأة في الدنيا تهتم بالحناء وطقوسها كاهتمام المرأة السودانية، وخضاب النساء واجب كما قدمنا، وقد عاتب الرسول صلى الله عليه وسلم عائشة بقوله: (مالي أراك سَلْتَاءَ مَرْهَاء ؟) والسَلْتَاءَ هي التي لاتختضب يعني مفسخة والمَرْهَاء هي التي لا تكتحل يعني مظلطة، بل لعن الرسول صلى الله عليه وسلم السَلْتَاءَ والمَرْهَاء (القرشي: 1999: 24).

ممارسة طقس الحنة من الممارسات المهمة في المجتمع السوداني، حيث ينظرون إلى عادة الحناء أو الخضاب على أنها زينة وعادة اجتماعية سودانية موروثة منذ القدم. وعرف اجتماعي تعارف عليه الناس عند الزواج للزوجين. وبالتالي يهتم أهل العريس والعروس بهذا الطقس باعتباره أحد مظاهر الزواج، ويعلم من خلاله أن هنالك مناسبة زواج في هذه الأسرة وواحدة من خطوات الزواج التي تتيح للآخرين المشاركة إلى جانب أهل العروسين.

حنة العروس في مجتمع البحث هو يوم مشهود وعظيم لدى الأسرتين في مجتمع البحث، ويتم ذلك قبل مراسم الزواج بأيام قليلة، حيث كان الاحتفال بحناء العروسين يدعى له الأهل والجيران والأقارب في حفل بهيج مليئ بالغناء والطرب والسمر، وليلة الحناء تعتبر البداية الرسمية لأيام العرس وتمهيداً لدخول الحياة الزوجية للعروسين.

وتكون ليلة الحناء عند كلا الطرفين في منزل كل منهما على حدة، يقوم أهل العريس والعروس في مجتمع البحث بتجهيز منزلهما من حيث الإضاءة الملونة والزينة إعلاناً بقدوم المناسبة، وتكون العروس في كامل زينتها وتعم الفرحة منزل العروس. وتبدأ مراسم الحناء في ممارسة طقوس الحناء بوضع عنقريب كبير وسط الديار وعليه فراش مزخرف مختلف الألوان ويوضع على الفرش برش مصنوع من السعف الملون، وتوضع أمام العريس والعروس صينية الجرتق عليها بعض الأدوات؛ الحنة والشموع بمختلف الألوان والعطور من صندلية ومحلبية ومجموع والبخور، وتقوم الفتيات بوضع طبقة سميكة من الحناء على يد العروسين وباطن قدميهما وسط زغاريد النساء وغناء صديقات العروس بالعديل والزين، وعادة ماتقوده إحدى السيدات المتطوعات من المنطقة والمعروفات بجمال الصوت، ويعتبر غناء العديلة نوعا من التبريك والدعاء والفال الحسن للعريس. ونجد أنه قد حدث بعض التغيير حيث تقوم العروس الآن بإحياء حفل غنائي خاص للنساء وغالباً مايكون بواسطة واحدة من المطربات المحترفات للغناء وبتكلفة مالية عالية. وأيضاً يكون هنالك حفل غنائي آخر بمنزل أهل العريس للرجال والنساء ويدعو الأهل والجيران والأصدقاء والمعارف، وخاصة أهل العروس، ويتم تقديم وجبة عشاء للضيوف، ويتم التوثيق بالتصوير الفوتغرافى الرقمى وبالفيديو ونخلص إلى أن مجتمع البحث نجذ نظرة المجتمع للحناء، أن أغلب الأفراد ينظرون إلى عادة الحناء أو الخضاب على أنها هي زينة وعادة اجتماعية موروثة.

تجهيز العروس:

قديماً كان تجهيز العروس يتم قبل مدة من الزمن حيث تحبس العروس في منزل والدتها وعندما يحين وقت الزواج تحبس عند الجيران أو الأهل وتقوم الفتيات بخدمتها والطاعة لها، وتقوم الفتيات بتدليك جسم العروس بالدلكة واللخوخة بعد الدخان. والدخان في التراث العربي نوعان: البخور المعروف وتطيب به الأجسام والثياب والبيوت، والدخان الذي تصطلي به المرأة العربية بغرض الاستدفاء أو الزينة وكلا النوعين عندنا ولنساء السودان بهما عناية فاقت عناية نساء العرب الأوليات بذلك. ومايزال البخور محافظا على مكانته. أما عادة الدخان فقد كادت تختفي في البيئة العربية إلا عند المرأة السودانية حيث تتدخن بالصفة المعلومة عند نسائنا.

التراث العربي، شعرا ونثرا، لايعطينا إجابة قاطعة لكيفية دخان الحفرة ولكنهم وصفوا أثر الدخان على الجسم. قال بعضهم:

وما عميرة من ثدياء حالبة كالعاج صفرها الأكتان والطيب

فهو يصف إمرأة بيضاء كالعاج تعلو بياض لونها صفرة من أثر الدخان والطيب، لأن الكَتَنَ في كلام العرب هو لطخ الدخان بالجسم أو الحائط، وقول الشاعر (الأكتان) بصيغة الجمع دليل على كثرة استعمالها الدخان للزينة وذلك لاقترانه بالطيب والنساء حريصات على لون الصفرة المكتسبة، وهي صفرة محبوبة مشهورة ومذكورة في التراث حتى إنهم يقولون للون الأصفر المشرب بحمرة دخان عزبة (القرشي:199: 11).

والدخان كما وصفة د.عبدالله الطيب: وحفرة الدخان من أهم أدوات الزينة بالسودان، فيه تجلس العروس متجردة من ملابسها على حفرة وهي مغطاة ببطانية أو شملة صوف كما كان في السابق. وداخل الحفرة يوضع حطب من نوع خاص وهو الشاف أو الطلح الذي ينبعث منه دخان كثيف برئحة نفاذة تظل تنبعث من الجسد لأيام عديدة. بإرتفاع درجة الحرارة داخل هذا الغطاء تتصب العروس عرقاً، الأمر الذي ينجم عنه تقشر الطبقة الخارجية من بشرتها أو ما تسمى بالفتوية بالنسبة للفتاة (بلال: 2001: 81).

وتعتبر حفرة الدخان من الظواهر التي لاتكاد تخطئها العين في كل بيت في المدن والقرى. أما في الريف فهي في كل بيت في ناحية منه في داخله أو في زاوية أو برندة أو راكوبة، ووضعها في الراكوبة أو في الحوش أرحم وأسلم لأنه يجعل ذلك الحمام الخانق في هواء طلق فيخفف الاختناق على المتدخنة. وفي هذه الحالة لا بد أن يكون الدخان ليلا فالليل بارد وكافر (أي: ساتر) أما النطع فلعله اختفى أو كاد وحلت مكانه أشياء أخرى حسب الاستطاعة. والنطع لمن لايعرفه بساط كانت العرب تصنعه من الجلد المدبوغ، أما عندنا فهو بساط من خوص أو سعف أشبه بالتبروقة أو المصلاية المستديرة مثقوب في وسطه يبسط فوق حفرة الدخان فيقابل ثقبه فوهة الحفرة. هذا وقد وصف المجذوب – عليه رحمة الله – حفرة الدخان ومن عليها وصفا حيا ناطقا في قوله:

وحفرة بدخان الطلح فاغمة تندي الروادف تلوينا وتعطيرا

مدت بنانا به الحناء يانعة ترد ثوبا إلى النهدين محسورا

قد لفها العطر لف الغيم منتشرا بدر الدجى وروى من نورها نور

يزيد صُفرتها لما، وجدتها صقلا، وناهدها المشدود تدويرا

وربما زعمت السودانيات أن الدخان إضافة إلى طيبه وعبقه ولونه الساحر، فإنه يشد الجسم، وهذا ماشهد به الشاعر في بيته الأخير لأن الناهد المشدود بطبيعته إزداد تدويرا فقد انشدَّ (القرشي: 1999: 16). وتتحول جلسات الدخان في السودان إلى مجاملات اجتماعية ومجالس للأنس عن الكلام في الزواج وتجهيز العروس وكيفية الاستعداد لليلة الفرح والدخلة.

زينة العروس:

كانت زينة العروس قديماً مبسطة للغاية وتقليدية، تستخدم قطع الحُلي والمواد التقليدية، وكانت العروس ترتدي الرحط وشعرها ممشط بطريقة جميلة، وتزين رأسها بكمية من الذهب والسوميت اللؤلؤ. كما كانت تزين شعرها بالجنية الذهبي المعروف بالإنجليزي. بالإضافة إلي خرز أحمر وقصيص أبيض اللون، وتزين الأذنين بالخروس وتعلق فوق الأذن. ويزين جبين العروس بالودعة، أما على عينها فتضع العروس الكحل أو الدلال للزينة، وفي عنقها سبحة اليسر وأيضا ترتدي العروس أيضا على عنقها الحجاب للزينة وللحفظ من العين وتزين أيدى العروس بالغوائش الذهبية أو السوار، أما أصابع اليدين فتحلى بعدد من الخواتم الذهبية والفضية. أما الحنة فتستعمل كإحدى مواد الزينة للعروس (البصير: 2010: 128).

ومن أدوات تجميل العروس تستخدم الحلاوة التي تتكون من مزيج السكر والليمون والماء المغلي، وتمتاز بالرطوبة واللزوجة، وهى تستخدم لقشر أثار الدخان بإزالة الوجه الداكن للبشرة، ويُنعم بها الجسد ويصفو بها اللون، والإمساك بالشعر والأهداب واقتلاعها من جذورها، ويسمى ذلك بشيل الجسم. والعروس قديماً يتم تمسيحها بالمحلب المسحون مع الدهن المكركر بالصندل. ومن عادات تجهيز العروس كان هنالك عادة دق الشلوفة، حيث تتم العملية بتغيير لون الشفة السفلى إلى اللون الداكن المائل للسواد (وهي عادة عربية قديمة). وفي اعتقاد الناس في ذاك الوقت أنها تضيف على العروس الرونق والجمال. ويمارس هذا الطقس سيدات متخصصات في مجتمع البحث، ويتجمع النساء في منزل أهل العروس لحضور هذه المناسبة (البصير: 2010: 128).

ومن العادات قديما هي عادة مشاط العروس وله طقوس معينة وهي عبارة عن تنظيم الشعر بصورة منسقة مع بعضه البعض وبصورة جميلة، وكان يشارك في ممارسة طقس المُشاط نساء المنطقة، وهناك امرأة متخصصة تسمى المشاطة، وعند بداية المُشاط تمارس بعض الطقوس

حيث يوضع العنقريب ويفرش عليه البرش ويجلس عليه العروس والمشاطة. ويقوم أهل العروس بتوزيع الشاى والقهوة مع الغناء والزغاريد، وأحياناً يقدم السجائر لبعض النساء المتقدمات في السن (البصير: 2010: 128).

نجد اليوم أن الأسر في منطقة البحث أبقت على بعض الموروثات مثل (الدلكة واللخوخة)، و(الدخان)، وقد استخدمت نساء العرب النورة لإزالة الشعر من الجسد، وهي خليط من حجر الكلس والزرنيخ وأخلاط تضاف إليه يستعملونه لقشر شعر الجلد. أنشد الأصعمي:

قشر النساء دَبَبَ العروس

والدبب هو الشعر الناعم الذي يكون في الوجه، وقشره إزالته. وحرص النساء على إظهار العروس بالمظهر الجذاب هي عادة كل زمان وأهله. أما إزالة شعر الجسد عموما طلبا للون الصافي والملمس الناعم فقد استخدمت نساؤنا الخيط لإزالة شعر الوجه والسواعد والسيقان، ولكن المزيل الذي لاينافس عندهن هو الحلاوة، ذلك المزيج المكون من السكر، والليمون، المحروق بالنار، والمعد بطريقة خاصة تجعله يحافظ على رطوبته ولزوجته التي تساعد على الإمساك بالشعر والأهداب واقتلاعها من جذورها، فيصبح الجسم ناعما لفترة معقولة. ويسمى ذلك شيل الجسم (القرشي: 1999: 267).

ثم دخلت الكيماويات واستبدلت بمستحضرات التجميل العتيقة، وعلى الرغم من أن الأخيرة أسلم وأرخص وفيها حيطة من التشويه الذي تحدثه الكيماويات، إلا أن المستحضرات الحديثة سريعة وعملية في زمان السرعة هذا، والنساء مولعات بكل حديث (إبراهيم القرشي: 1999: 267). وأيضا هنالك الخلطات الطبيعية التي تتكون من الأعشاب والخضروات والفواكه التي تصنعها بيوتات التجميل العالمية، وتجهيز العروس في بعض الأماكن التجارية المتخصصة أو بما تسمى الكوافير، وهنالك بعض العروسات تستخدم حمام البخار "الساونا" بديلا عن الدخان والبعض الآخر من النساء يستخدمن الاثنين معاً. ونجد الآن ارتفاع تكاليف تجهيز العروس بالملابس وأدوات التجميل والزينة، قد يصل إلى ملايين الجنيهات، فقد أصبح مجتمع البحث يمارس المغالاة في تجهيز العروس في أماكن التجميل أو ماتسمى بالكوافير، ويشتمل التجهيز على الاكسسوارت وأدوات الزينة والذهب الذي يقدم بواسطة العريس مع الشبكة، وشراء أو إيجار

فساتين الزفاف آخر ماتوصلت إليه الموضات في العواصم العالمية. وقد تأثر مجتمع البحث تأثرا كثيرا بتقليد بعض العادات الوافدة، وعادة لبس فستان الزفاف الأبيض في الأصل عادة مسيحية جاءت إلى ودمدني عن طريق الهجرات القديمة عن طريق الأوربيين والأقباط والشوام، وأصبحت هذه العادة تمارس بصورة طبيعية ضمن طقوس الزواج في مجتمع البحث والمناطق المجاورة بصورة دائمة (البصير: 2010: 126).

عقد الزواج:

يتم تحديد عقد الزواج بعد يوم (سد المال) ويراعى في تحديده الأيام المباركة والمناسبات الدينية التي يتفاءل بها الناس، كاليوم السابع والعشرين من رجب أو المولد النبوي الشريف، أو يوم عاشوراء، أو العيدين الفطر والأضحى الخ .... وقد ظلت طريقة ممارسة عادة عقد الزواج مستمرة وحتى اليوم عند عدد كبير من الأسر في مجتمع البحث. ويسمى يوم العقد (الصفاح) في هذا اليوم يذهب جمع من الرجال إلى بيت أهل العروس بدون العريس ومعهم وكيله وغالباً يكون والده أو أخوه أو عمه وغالبا يكون أكبر رجل فى الأسرة، وذلك لعقد القران رسمياً. ويكون أهل العروس في انتظارهم، ويقوم المأزون أو إمام المسجد بإجراءت العقد، وفي حفل يقدم فيه التمر والحلوى والشربات يتم عقد القران، ويحدد الصداق، ثم تكون هناك عادة أعتادها الناس وهي قيام أحد الرجال بضرب الروري (يصيح بأعلى صوته)، وتزغرد النساء معلنين بذلك إتمام القرآن (البصير: 2010: 129).

نجد أن مراسم (عقد الزواج) اليوم هي نفس ما كان عليه في السابق، مع اختلاف بسيط في تناول المشروبات والمأكولات، واختفاء ظاهرة (الروري) الذي استبدل عنها بظاهرة (ضرب النار) بواسطة أحد أفراد الأسرة أو الضيوف.

فطور أم العريس:

قبل الزواج بفترة تعد أم العروس ما يسمى بعشاء أم العريس، وهو كمية كبيرة من الطعام تحمله عدد من نساء الحي في إحدى الأمسيات إلى بيت العريس، وهن يملأن الفضاء بالزغاريد، ويكون العريس قد دعا جميع أصدقائه وأهله من الشبان فينتظرون وصول العشاء، وعند وصول حاملات الطعام يجمع الشباب مبلغاً من المال يعطونه لمن جئن به، وقد كان (فطور أم العريس) في السابق بسيطاً جداً عبارة عن صينينة واحدة يحملها النساء إلى منزل أهل العريس ليفطر بها

وأصحابه وتتكون من عصيدة وملاحين، ملاح (روب أبيض) وملاح أم دقوقة أحمر (سالم: 1996: 95).

في مجتمع البحث أصبحت هذه العادة مكلفة جداً، حيث يقوم أهل العروس بإعداد طعام (فطور أم العريس) بديلاً لعشاء أم العريس سابقاً، يقوم عدد من النساء من أهل أم العروس بمرافقة فطور أم العريس بعربات خاصة صالونات أخر موديل بالإضافة إلى البكاسي وأحياناً تستخدام الدفارات على حمل فطور أم العريس في اليوم السابق لحنة العريس أو يوم الحناء نفسه، ويحتوى الفطور على الخروف المشوي المحشي بالأرز والزبيب، وكمية وافرة من الدجاج مع الوجبة الحبشية (اليخني) والكسرة البلدية والخبائز والمطبق والفطائر والسكسكانية والشعيرية والحلويات بالإضافة إلى الروائح السودانية المصنعة محلياً والروائح الأجنبية، ويحمل الفطور في الصواني النيكل (الإستيليتس إستيل) والزخرفة وآخر موضة في عالم الأواني المنزلية. وقد قامت مؤخراً محلات متخصصة في تجهيز فطور أم العريس. وقد دخلت عادة جديدة وهي زفة فطور أم العريس بالفرق الموسيقية الأجنبية وبالتحديد (الزفة المصرية)، والدلوكة والزغاريد والغناء الهابط، وقد أخذت هذه العادة في الانتشار، وتبلغ تكلفة الفطور الكثير من المال الذي يبلغ أحياناً أكثر من 3 ملايين من الجنيهات (بالقديم). يقف أسطول العربات أمام منزل أهل العريس فتخرج النسوة يستقبلن فطور أم العريس بالزغاريد ويشرع الجيران والحاضرون في المساعد بإنزال القيزان الضخمة والحلل التي تمت زخرفتها بمختلف الأشكال والألوان وسط الزغاريد والتهاني وكلمات الترحيب ثم تقدم الخبائز والعصائر ثم يتناول الجميع الفطور، وتقوم أم العريس بتقديم بعض الهدايا للنساء اللواتي حملن فطور العريس.

السيرة:

يسمى يوم (الدخلة) أو يوم العرس، يستعد موكب العريس للسيرة إلى بيت أهل العروس، ويقول عبدالرحيم سالم: السيرة كانت في ودمدني تعكس وضع العريس المادي والمهني، فالعريس متوسط أو متدني الدخل الذي عادة مايكون مزارعاً أو عاملاً بسيطاً يلبس عادة جلابية وعمة، وربما بالطو صوف مجهز خصيصاً لهذه المناسبة، ويلبس سبحة اليسر السوداء وعقد سوميت وفي يده خرزة خوفاً من (الكبسة)*. أما إذا كان العريس موظفاً فسيكون لابساً بدلة وقد تكون

* - الكبسة عند النساء السودانيات مشابهة للسحر فهي نوع من نوع سوء الطالع ، ولكنها تحصل في حالات معينة وبطريقة تختلف عن السحر. قد تحدث الكبسة للعريس والعروس فيصيبهم النحس، فلا يرزقون بأطفال. أما إذا لبسوا عقد المشاهرة أو كان موجوداً في البيت سيحميهم من هذا النحس. ومن المعتقد أنه قد يفيد في حالة الكبسة زيارة النيل والحدائق المجاورة.

سيرته بصحبة فرقة موسيقى البوليس وهم يرددون الأغاني المعروفة في ذلك الزمان بالآلات النحاسية. ويسير في السيرة أصدقاء العريس يتوسطهم العريس في الصف الأول ثم تسير بعدهم البنات وتحمل إحداهن الدلوكة وأخرى تضرب عليها، وهناك أثنتان كل واحدة تحمل شتماً (دفاً صغيراً) ويرددن أغاني السيرة وهي كثيرة ومعروفة إلى يومنا هذا: ياعديلة يابيضاء ويامِلائكة سيرى معا، أو أغنية عريسنا سار البحر ياعديلة .. وقطع جرائد النخل الليلة زينة، أو أغنية الليلة سائر ودالقبائل العديلة ليه (سالم: 1996: 98).

وهنالك في منطقة البحث أماكن معروفة كان لابد للعريس من زيارتها أثناء سيرة العريس وهي طقوس من لايلتزم بها قد تصيبه "الكبسه". وتبدأ السيرة بزيارة قبة الشيخ محمد مدني السني ثم قبة الشيخ سعدابي، ثم يقوم العريس بزيارة البحر وينزل إلى شاطىء النيل الأزرق ويغسل وجهه ثلاث مرات ويقول: بسم الله الرحمن الرحيم نفضت سبر أمي وأبوي مع كل مرة. ثم يسير الجمع حول العريس، وتبدأ النساء في الغناء بصوت لفترة تصل إلى نصف الساعة. وبعد ذلك تظهر مجموعة من الفتيات من أهل العروس ومعهن من يحمل الرتاين، يدعون بنات أهل العريس ومن جاء برفقتهن من الرجال والشباب لدخول بيت أهل العروس، كما يهتم الرجال والشباب بدعوة أصحاب العريس ويبدأون في إطعامهم، ويبدأ الحفل حتى وقت متأخر من الليل، وقد كان قيام الحفلات الراقصة كل مساء هي واجب كل عريس، وهي من مطلوبات أصدقاء العريس والعروس لأن حفلات الزواج كانت من الفرص القليلة المتاحة للشباب لاختيار شريكة الحياة، وقد كانت حفلات الرقص وقتها ليست كحفلات اليوم "فالرقصة المعروفة هي "رقصة الرقبة". وفي الحفلة تكون الفتيات إلى جانب والشباب في جانب، ولايسمح بالاختلاط المباشر أبداً. هناك حالات نادرة في تلقي "الشبال" من البنات وعادة مايكون من الأهل فقط. ثم يبدأ الناس في الانصراف ويبقى الأهل والمقربون من أصدقاء العريس، وفي ساعة مبكرة من الصباح يطلب أهل العريس رؤية العروس فتأتي مجموعة من البنات وفي وسطهن العروس، وهي مغطاة تماماً بفركة القرمصيص، والبنات حولها يغنين أغاني العروس بالدلوكة ثم يكشف عن العروس ويصلي الجميع على النبي وهي مغطاة بالذهب والحلي، وتبدأ الفتيات في الغناء ليبدأ رقيص العروس (سالم: 1996: 99).

في اليوم السابع كانت العادة أن يقوم العريس مع عدد كبير من الأهل والأصدقاء في موكب بزيارة شواطيء جزيرة الفيل ويقطع العريس فرعا من الليمون وآخر من النخل ويقال في السابق إذا تقابل عريسان في الجزيرة لابد أن يضربا بعضهما بهذه الفروع خوفاً من الكبسة. لذلك يتحاشى العرسان أن يتصادف وجودهما في نفس المكان. يرجع موكب العريس المصاحب بالأغاني والدلوكة والزغاريد حتى يصل بيت العروس للسهرة الختامية، وهي حفلة راقصة كسابقاتها. اليوم السابع هو يوم انتهاء حفلات الزواج رسمياُ، وقد تكون هناك حفلة أخرى في اليوم الخامس عشر (البصير: 2010: 134).

نجد اليوم أن سيرة العريس تتجه مباشرة إلى مكان حفل الزفاف سواء كان في النادي او صالة الأفراح أو بيت أهل العروس دون المرور بالممارسات السابقة التي تمارس في طقس السيرة. ونجد اليوم الحفلات الموسيقية والزفة الأجنبية قبل جلوس العريس على (الكوشة) ونجد كذلك الرقص المختلط بين النساء والرجال مع مشاركة الأطفال. وتصوير الحفلات بالفيديو بالإضافة إلى العشاء الفاخر بالأطباق (الكوكتيل).

ويرى الباحث أن مؤشرات التكاليف الاقتصادية التي يتكلف بها العريس وأسرته وذلك على مستوى الزواج في بيت والد العروس وفي النادي أو صالة الأفراح، ومظاهر إقامة الفرح في النادي أو الصالة بأنها تقاليد اجتماعية جديدة وأصبحت تدخل في أبواب المفاخرة أو التباهي أو المنافسة بين الناس في إقامتها، إذ يتحمل العريس جميع التكاليف الاقتصادية وهي تكاليف باهظة، وقد أتضح خلال المقابلة الشخصية لأفراد العينية التكاليف الاقتصادية الفعلية التي تقدر بعشرات الملايين مقابل إيجار الصالة وأيضاً الأموال التي تنفق مقابل شراء المواد الغذائية وغيرها من أجل إقامة الولائم والحفلات الموسيقية. ونتيجة التحولات الاقتصادية والاجتماعية الثقافية في المجتمعات الحضرية أدت إلى تعقد مراسيم الزواج، حيث كان في الماضي بسيطاً.

ويرى أنه قد زحفت بعض التغيرات الاجتماعية، وأن الإجراءات المادية لنظام الزوج أصبحت معقدة بسبب التغيرات التي دخلت على التقاليد والقيم والسلوك الاجتماعي، وقد أثر ذلك في نظام الزواج ليتبدل شكل حفلات الزفاف وطقوسه وأسلوب الاحتفال به، وبما يتناسب مع فكر الأزواج الشباب، حيث ظهر شكل جديد خلال هذه الفترة الأخيرة حيث أصبح حفل الزفاف تسبقة الزفة الأجنبية. وذلك نتيجة تأثير الفضائيات ووسائل الإعلام الأخرى. وهذا مايؤكد نظرية "الإنتشار

الثقافي" التي تعتمد عملياً على الجانب المادي ومنها الاختراعات الحديثة مثل الفضائيات التي تعتبر اصل الثقافة الجديدة الوافدة، ويؤدي في النهاية إلى استمرارية نشرها وإحداث التغيير. مما يؤكد أن الثقافة هي ظاهرة إنسانية تؤثر في جميع حياة الناس. ويقول نصرالدين شلقامي لصحيفة ألوان (2008: 13): "أن الذاكرة الشعبية تأثرت بما يجري في الفضائيات وابتعدت عن الموروث، ويعزي ذلك إلى إشكالية الجيل الحالي لأنه لم يتشرب بالإرث الثقافي القديم، ويرى أن طغيان ثقافة الأجنبي على ثقافتنا له الآثر الكبير في التغير في العادات السودانية"

زفة العريس اليوم قد شهدت تغيرات ملموسة خلال المراحل الزمنية المتعاقبة وتتمثل في نظام الزفة من المشي على الأقدام وغناء التراث، ثم مرحلة استخدام السيارات الفارهة وتزينها في أماكن متخصصة وبتكاليف عالية والزفة الأجنبية مع مشاركة الفرق الغنائية الأجنبية البعيدة عن الموروثات السودانية.

الجرتق:

الجرتق* من العادات السودانية القديمة جدا، والتي يقال إنها ترجع إلى أصول فرعونية. وقديماً كان الجرتق يجري تفاؤلاً بالإنجاب. وتعتبر من العادات الراسخة فى الزواج السوداني رغم رياح التغيير والحداثة التى اجتاحت المجتمع السوداني وذلك لجلب الفأل الحسن وإبعاد العين.

يجلس العريس على عنقريب مفروش، فتعد صينية، ملئية بالروائح السودانية ولبن الحليب وعليها سبحة اليسر، وبعض المواد المستخدمة في الجرتق عبارة عن خيوط مفتولة وتلبس في المعصم الأيمن وتدلى من عقدة الربط خيوط الحرير الوردية عند انتهاء الفتلة وتسمى الحريرة. ويلبس العريس مجموعة من العقود وهلالاً من الذهب يشد على الجبهة بقطعة من القماش الأحمر وقطعة من الحلي بحجم رأس الأصبع الكبير، تتخلها خيوط الحرير الوردية، وتتدلى منها خرزة الأحجار الكريمة الزرقاء أو الخضراء وهي التي تسمى الجرتق في الأصل وتلبس في يمنى العريس مع الحريرة والكباسة والسكس الملون وتلبس في العنق ومجموعة من العقود من السوميت والذهب. ثم يمسح في شعر العريس بالدهن الحيواني (الودك) وزيت الكركار المعطر بالصندل والعطر، ويضاف إليه مسحوق المحلب المخلوط بالماء والصندل المسحون، وهذا ما يعرف بالضريرة. ويقول إبراهيم القرشي: "الضريرة هي عادة عربية قديمة معروفة عند العرب أصلها الذريرة قلبنا ذالها ضاداً فقلنا الضَّريرة قالت عائشة رضى الله عنها: طيبتُ رسول الله صلى الله

* - الجرتق ق هو نوع من الحروز يستخدم لدفع الضرر او لجلب المنفعة ؛ للاحتراز من الجن والحسد او لجلب الخظ والثروة.

عليه وسلم لإحرامه بذريرة. وبعد عمل الضريرة يلف حول رأس العريس منديل ملون ويحمل العريس السيف والسوط، وفي مقدمته هلال ذهبي، ثم يتقدم نحو المكان المعد لحفلة قطع الرحط. مع أغاني السيرة التي تصحب طقوس الجرتق والحناء وتقود دائما أغاني السيرة النساء وخاصة الكبار في السن (القرشي: 1999: 203).

ويرى الباحث أن طقس الجرتق أصبح في فهم الأسر عبارة عن عادة أبقت عليها الأسر ويصاحبها الآن مفهوم التفاخر بين الناس، وأصبحت بطقوسها الخاصة تقام بعد حفل الزفاف وفي جلسة خاصة بعد نهاية حفل الزفاف أو في اليوم التالي. مراسم الجرتق تبدأ العروس بلبس الفستان الأحمر القاني اللون إضافة (للإكسسوار) الذهبي وهو عبارة عن طاقية مذهبة، والشعر موصول المشاط وأحياناً الجدلة التقليدية، ولكن البعض منهن من ذوات ذات الشعر الطويل يفضلن الظهور بشعرهن الطبيعي وهذا نادر لأن الأمهات يخفن من عين الحساد. ونجد اليوم خبيرات تجميل لتجهيز العروس للجرتق فهن يقمن بتجهيز العروس أفرنجي وبلدي ويكون تجهيز العروس مابين (5000 – 20000) جنيه أو أكثر حسب الإمكانات المادية بالنسبة لأهل العريس والعروس. تقوم المتخصصة بتجهيز العروس من رسم الحناء والفستان والثوب الحريري الشفاف والجدلة والحجول والأسورة والغوائش والخواتم ويتم وضع المكياج للعروسة كما في ليلة الدخلة مع فارق الألوان.

رقصة العروس:

أكد بعض الباحثين في علم الاجتماع الثقافي في صحيفة الحياة (2007: العدد:1100: 4) أن رقصة العروس ما هي إلا تداعيات تاريخية أفرزتها حقب ثقافية وسياسية إقليمية لم يكن السودان بعيداً عن تأثيرها باعتبارها مؤثرات ثقافية شكلت جانباً كبيراً من الوجدان الاجتماعي الجمعي خاصة في شمال السودان الذي هو أكثر تأثراً بالحضارة الفرعونية. وتاريخياً ارتبطت رقصة العروس بطقوس عروس النيل وهي عادة قديمة فرعونية درج الفراعنة على تقديم عروس النيل مع كل موسم زراعي خاصة عندما يحاصر الجفاف أرض مصر التي تشكلت ثقافتها وحضارتها السياسية والاقتصادية على ضفاف النيل وعلى امتداد شمال السودان. اختفت ظاهرة إهداء عروس للنيل .. فكانت رقصة العروس وهي طقس ديني وثني تطور إلى ملمح ثقافي اجتماعي أصبح يعبر عن سعادة العروس بدخولها عالماً سحرياً جميلاً .. يعني الحب والاستقرار.

رقصة العروس تطورت شكلاً وموضوعاً في مجتمع البحث حيث كانت العروس في السابق تقف خجولة مغمضة العينين وهي تقف بحياء في السباتة وهى برش من السعف .. تقف لابسة الرحط، "وهو حزام سيور رقيقة من الجلد يلتف موازياً أسفل خصرها وأعلى الردفين مباشرة، ويتمثل الستر فيه بغزارة السيور التي كانوا يبدعون في صناعتها، فيجعلونها سيوراً رقيقة جداً كخيوط الحرير، ويرصعونه بالخرز المختلف الألوان" (بلال: 2001: 81). فوق جسدها العاري المضمخ بالعطور الزيتية "الصندلية" والدهن، وتتحلى بالحلي وصدرها عار تماماً وذلك لعرضها أمام الناس لرؤية جمالها ومحاسنها وجسدها المتناسق، وإرتداء الرحط يدلل على عذرية الفتاة، وقد لا يجرؤ ولي أمر العروس على منعها في الظهور بهذا اللبس، أو ربما يظن الناس أن بها بعض العيوب أو تكون أرتكبت الفجور قبل الزواج. يغني البنات لها أغنية اللول لالك يالعروس، وأغنية أم العروس جينا ليك بنباركو ليك. وعلى العريس أن يتقدم لقطع الرحط وتكون هناك عادة حلقة من البنات في جانب والشباب في جانب آخر، ثم تحضر العروس وتبدأ الرقص مع إيقاع الدلوكة وتتكرر عملية رقص العروس ويحاول العريس عبثاً أن يمنعها عن السقوط ولكن الفرق أكبر أن العروس في هذه المرة تلبس رحطاً، وعلى العريس أن يقطع سبعة من هذه السيور ويرميها على البنات، ثم يأخذ فتيل عطر من العطور المعروفة في ذلك الوقت كالريفدور أو بنت القسيس أو بنت السودان ويرش عطرها على الآخرين. وينتهي قطع الرحط ويتفرق الجميع ويبقى فقط المقربون من العريس، وفي الليل تبدأ حفلة خاصة يحييها فنان للأهل يشارك فيها الرجال والنساء (بلال: 2001: 81).

إن بعض العادات التي كانت منتشرة بصورة كبيرة اختفت أو قلت أو ظلت تمارس بصورة تراثية قديمة فاختفى الرحط .. وتقول: عبدالله، سمية أحمد (2016): الرحط تلبسه العروس يوم قطع رحطها، وهي عادة متبعة حتى أواخر السبعينيات. الرحط ترتديه العروس في الحفل الخاص بذلك، بينما عامة الناس من الأهل والضيوف ينتظرون مجييء العروس لابسة الرحط. وتقوم بالرقص ويقوم العريس بجر أحد سيوره اذا وقع يرمى عليها ثوبا لسترها وان لم يفعل فيعتبر أنه قد فشل في قطع رحطه!. وإن فساتين العروس ظهرت في العام مابعد الإستقلال 1956م. وقبلها لم تشهد عروساً ترتدي فستاناً في فرحها.

تغيرت الصورة في فترة الستينيات والسبعينيات وبقت العروس تلبس الزي الجميل الفستان الحريري والقرمصيص والجدلة التي توضع فوق مشاط العروس والرقص أمام الناس من أهل البيت والضيوف من النساء والرجال، ثم تكشف العروس وجهها وجسمها وهي مغطاة بالذهب والحلي، وتبدأ الفتيات في الغناء وترقص العروس بعض الرقصات التي تدربت عليها طيلة الشهور الماضية، وعلى العريس أن يكون حريصاً ألا تسقط العروس على الأرض أثناء رقصها، ولكن تفننت صديقات العروس في جذب انتباه العريس لشيء آخر لتسقط منه العروس، ويصيح الجميع :قووون" وينتهي حفل عرض العروس (البصير: 2010: 138).

وفي فترة الثمانينيات وحتى نهاية القرن الماضي حدثت صحوة ثقافية دينية وبعد تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان عام 1983م ... حيث حوربت هذه العادات بواسطة النساء الناشطات في مجال العمل الدعوي والنسوي بوضعها عادات سيئة وظواهر سالبة وهي إستغلال المرأة للعرض والرقص أمام الناس وهي غير محتشمة، ولفترة اختفت هذه الظاهرة وأنحصرت في بعض الأسر وعزفت كثير من الفتيات عن تعلم رقص العروس.

ويرى الباحث أن هذه العادة عادت بقوة وبطقوسها مرة أخرى، ولكن في صالات مغلقة أو داخل المنزل أمام العريس والنساء فقط والأطفال وبدعوات خاصة، حيث تتبارى العروس في ارتداء الملابس المتنوعة وآخر الموضات العالمية والأزياء عبارة عن فساتين مزركشة وفخمة وغالية الثمن وشبه عارية، وأصبح التنوع في الرقصات صفة ملازمة حيث تقوم العروس برقصات تتراوح من عشرين إلى ثلاثين رقصة وبطقوس معينة لكل رقصة ولبس معين، وأصبحت العلامَات من النساء (جمع معلمة) اللاتي يقمن بتعليم العروس يتقاضين أجراً يترواح من (1000 – 5000) جنيه ومافوق لبعض الأسر الثرية.

شهر العسل:

نجد أن التحضر تتبعه تغيرات في أساليب الحياة ومن ضمنها أساليب نظام الزواج، وقد اقتضى ذلك أن العروسين يقضيان أيام زواجهما الأولى في الفندق بعيدا عن أسرتيهما كما كان في السابق في مجتمع البحث. وقد كانت ليلة الدخلة أو (القيلة) على الطريقة القديمة فقد كانت مستورة نوعا ما عكس ما نرى في بعض الدول العربية حيث تقضي التقاليد عندهم أن يبدأ العريس برفع الطرحة وكشف وجه العروس أمام أمه وأمها وبحضور القابلة التي تكون مهمتها

مساعدة العروسين على تجاوز لحظة فض البكارة، فتساعد العروس على خلع ملابسها وتهيئتها في وضع معين يسهل على العريس المهمة. وحسب وصف بعض الدراسات الاجتماعية التي وصفتها وصفا مفصلا يبين أنها عملية فيها قسوة، وبهيمية، تثير الاشمئزاز، وربما خلقت آثارا نفسية على الطرفين، ولكن المجتمع أملاها (القرشي: 1999: 207).

أما في المجتمع السوداني كان من الطبيعي جدا أن تسمع في ليلة الدخلة في بيت أهل العروس انطلاق الصرخات في تلك الليلة أمر مألوف، وقد يكون هنالك تصنُّت لما يحدث خصوصاً من النساء والأطفال ولكنه في هدوء وهمس. ثم دارت الأيام وانبعثت صحوة أيقظت في الناس الحياء وأماتت التوتر الاجتماعي في تلك الليلة، ثم جاء (شهر العسل) وقضاء الزوجين أول أيام زواجهما في الفندق، فقضى على بقية الظاهرة نهائياً بقضاء تلك اللحظات بعيداً عن الجو (المكهرب) وقد استهجنه الكبار باديء ذي بدء ولكن سلطان المجتمع والتغيير لايقاوم، فصار شهر العسل بدعة حسنة وعادة مستحسنة لما فيه من رفع الكلفة. ثم إن فيه ستر الحال للزوجين ورفع الحرج والخجل عن النسابة، وهو يوفر جواً من الرفق والمودة والإلفة بين الزوجين . وقد كان شهر العسل معروفا عند العرب، فقد قال حكماؤهم لذة الطعام والشراب ساعة، ولذة النوم ساعة، ولذة المرأة شهر، ولذة البنين دهر (القرشي:1999: 207).

الخلاصة:

تناول هذ الفصل نظام الزواج في المجتمعات السودانية ومجتمع البحث (مدينة ودمدني)، وقد حاولنا عرض بعض نماذج لنظم الزواج عند القبائل السودانية، والتي تعتبر المكون الثقافي للمجتمع السوداني في الريف والمجتمعات الحضرية السودانية، وعرضنا الزواج قديما عند هذه القبائل والتغيرات التي حصلت في المجتمع نتيجة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، الاحتفاظ ببعض الخصائص البنائية في الزواج التقليدي الذي كان سائدا للتعبير عن بعض الموروثات والقيم الاجتماعية السودانية التى كانت سائدة في الماضي.